ظل صغير

جليلة ناصر

أم خيّال

اسم الكتاب : ظل صغير

اسم الكاتبة : جليلة ناصر

تصميم الغلاف : مها أيمن

تدقيق لغوي وتنسيق : نورهان هاني

رقم الإيداع : ٢٠٢٥/٣٧٨٤م

الترقيم الدولي : ٩٧٨-٩٧٧-٨٧٩١-٨٨-١

كافة الحقوق محفوظة للناشر والمؤلف

لا يُسمح بإعادة طبع أو توزيع أي جزء بأي طريقة، بما يشمل ذلك التصوير أو الطباعة أو التسجيل الصوتي أو أي وسيلة أخرى إلكترونية أو غير إلكترونية، دون إذن كتابي مسبق من الناشر، ويسمح فقط في حال الاستعانة ببعض الفقرات لغرض النقد والدراسة، طبقًا لما تحدده قوانين واتفاقات حقوق الملكية الفكرية.

ظل صغير

إهداء

إلى ثمرة فؤادي ومهجة قلبي ♡خيّال♡

إلى روحك النقية التي سكنت روحي.

أهديك هذا الكتاب، كإشارة حبي التي لا تنتهي، وكلمات تحمل ذكراك في كل صفحة.

أنت النور الذي أضاء حياتي، وذكراك تظل ترافقني في كل لحظة، أكتب لك لأنني أعلم أنك في مكان أفضل، وأن قلبك سيظل ينبض في كل كلمة أكتبها.

هذه الصفحات تحمل قصصنا، وأحلامنا، ولحظاتنا التي عشناها معًا.

عسى أن تجد في كلماتي ما يعبر عن مشاعري، ولتكن دائمًا في قلبي، كما كنت، وستظل..

مقدمة

في عالمٍ يضجّ بالحركة والأصوات، تظل هناك زاوية هادئة لا يراها الجميع، حيث تنحني الروح بحثًا عن ظلٍ صغيرٍ تركته الأيام خلفها هذا الظل لم يكن يومًا مجرد ذكرى عابرة، بل هو حكاية حياة امتدت بين الأمل والحنين، بين ضحكاتٍ خفية ودموعٍ لم تُذرف في هذا الظل، تسكن روح طفلٍ رحل قبل أن تكتمل ملامح حياته في هذا العالم، ولكن بريقه لا يزال يضيء قلوب مَن أحبوه.

"ظل صغير" ليست فقط قصة عن فقدان، بل هي رحلة أمٍ في استعادة تفاصيل طفلها، الذي ترك أثرًا لا يمحى في وجدانها، حتى وإن غاب الجسد. إنها رحلة في البحث عن السكينة وسط الأمواج العاتية للألم، وعن الحب الذي يبقى رغم الفراق.

"ظل صغير" هو قصة طفلي، ذلك الظل الذي لا يفارقني أبدًا، حيث أصبح جزءًا من حياتي، يملأ قلبي بالدفء ويشعل بداخلي شعلة الأمل. هو قصة لحظاته الأولى، كلماته الأولى، واكتشافاته الصغيرة التي تكبر يومًا بعد يوم.

في كل صفحة من هذا الكتاب، أروي تفاصيل هذا الظل، الذي رغم صغره، يشع بنور لا يمكن إغفاله. إنه كتاب عن الرحلة المشتركة التي نعيشها سويًا، عن الأحلام التي نبنيها له، وعن الأمل الذي نراه في عينيه، هو الحب الذي لا ينتهي، والذكرى التي سأحملها معي دائمًا.لطفلي الحبيب، هذا الكتاب هو هدية مني إليك، لكي تتذكر أن ظلك الصغير كان دائمًا نجمًا في سماء حياتي.

في الرابع عشر/ من شهر نوفمبر/ ٢٠١٨م

أنجبت طفل جميل وأسميته خيّال ومعناه يأتي من الجذر العربي "خَيَل"، ويعني الفارس أو الحصان، ويُستخدم للإشارة إلى الفارس الذي يمتطي الخيل. يُعتبر الاسم ذو دلالات إيجابية تتعلق بالشجاعة والحرية.

كان طفلي حين أطلّ على الحياة، كأنه قطعة من الجنة ، بشرته البيضاء كانت تضاهي نقاء الفجر حين ينبعث من قلب السماء، ناعمة كحرير يتراقص تحت ضوء الشمس أما شعره، فكان أسودًا كالليل العميق، يخفي في طياته أسرار الكون، يتماوج بخفة فوق جبينه كأنه لوحة فنية متقنة، في تلك اللحظة، شعرت أنني أمسك الجمال ذاته بين ذراعيّ، جمالًا لم تعرفه عيناي من قبل، وكأن الأرض كلها توقفت لتشهد ولادة هذا النور الذي ملأ قلبي حبًا وسكينة.

في تلك اللحظة، شعرت وكأن الكون بأسره يتوقف، ليتيح لي التأمل في هذه الهبة السماوية التي أصبحت بين يدي.
كان يبكي ويصرخ ، أحضروه لي ووضعوا خده على خدي، وضعوه على صدري.

عينيه الصغيرتين تنظران إلى الحياة وكأنهما تكتشفان كل شيء للمرة الأولى، وبراءته التي تلمع في وجهه تذكرني بنقاء الفطرة. أتأمل يديه وقدميه الصغيرتين، وأدرك حجم المسؤولية والحب الذي عليّ أن أمنحه إياهما هو بداية جديدة لي، بداية لحب لا ينتهي، وسعادة لا توصف.

شعرت بشعور جميل لايمكن وصفه...

عندما نظرت إلى طفلي لأول مرة، أشعر وكأن قلبي ينبض خارج جسدي، هو قطعة من روحي، هدية من الله، جاء ليملأ حياتي بالحب والدهشة،

عندما حملته بين ذراعي لأول مرة، شعرت أن العالم قد توقف، وكل ما حولي أصبح هادئًا، كأن الكون يحتفل بمجيئه

أهلا بطفلي خيّال في هذا العالم الواسع..

تجاوزت موعد ولادتي فقررت الطبيبة إجراء عملية قيصرية حفاظًا على سلامتي وسلامة طفلي، قامت بتحويلي إلى مستشفى في منطقة أخرى حيث الإمكانيات أفضل، رغم خوفي كنت مستعدة لأي شيء لأرى طفلي بخير.

كان اليوم يمر ببطء، وجسدي يئن تحت وطأة الألم ، كان الألم شديدًا بعد العملية يكاد يمزقني من الداخل، ولكن في الوقت نفسه، كانت روحي تتحلى بالصبر والرجاء.

تعبت كثيرًا، وكأن الطريق نحو الأمومة مليء بالصخور الحادة التي تعترض طريقي، كنت أتنفس بعمقٍ أحاول أن أتماسك، ولكن كل انقباضة كانت تأخذني بعيدًا عن هذا العالم، وكأنني أعبر من مرحلة إلى أخرى، من امرأة إلى أم..

الأمومة شيءٌ عظيم وأجرها كبير، أن تكوني أم معناه أن تكوني قائدة ، ومرشدة، وشجاعة ومكافحة، قوية وصبورة وكل ذلك أجره عند الله عظيم .

للأم مكانة مميزة ومنفردة في تاريخ البشرية، هي ليست مجرد لحظات جميلة أو ضحكات صافية، بل هي رحلة مليئة بالتحديات والصعاب،

تبدأ بتعبِ الحملِ والإنجاب، حيث تتحمل الأم آلامًا تفوق الوصف، لكنها تظل قوية بقلبٍ ينبض بالحب.

وبعد الولادة، تبدأ تحديات جديدة؛ الليالي الطويلة بلا نوم، القلق الدائم على صحة الطفل، وتحمل مسؤولية كبيرة في كل لحظة، ومع ذلك، فإن الأم تواصل بعزيمةٍ لا تنكسر، لأن كل تعب تشعر به يقابله فرحٌ لا يُضاهى عند رؤية طفلها يكبر ويحقق أحلامه.

الأمومة هي مزيج من الصبر والتضحية، وتجسيد حي للقدرة على الاستمرار رغم الصعاب..

ديننا قدم مكانة عظيمة للام

وجاءت أحاديث كثيرة توضح ذلك، من بين هذه الأحاديث:

أمك، ثم أمك، ثم أمك

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحبتي؟ قال: "أمك". قال: ثم من؟ قال: "أمك". قال: ثم من؟ قال: "أمك". قال: ثم من؟ قال: "أبوك" (رواه البخاري ومسلم).

يوضح هذا الحديث مكانة الأم العظيمة وحقها في المعاملة الطيبة ثلاث مرات قبل الأب..

"الجنة تحت أقدام الأمهات"

عن معاوية بن جاهمة السلمي أن جاهمة جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أردت أن أغزو وقد جئت أستشيرك. فقال: "هل لك من أم؟" قال: نعم. قال: "فالزمها فإن الجنة عند رجلها" (رواه النسائي).

في هذا الحديث يشير الرسول ﷺ إلى أن طاعة الأم وخدمتها والاعتناء بها هو طريق إلى الجنة.

***بر الأم طريق إلى الجنة**

قال رسول الله ﷺ: "إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنعاً وهات" (رواه البخاري ومسلم).

يؤكد هذا الحديث على تحريم عقوق الأم، وأن البر بها من أهم الأخلاق التي يؤكد عليها الإسلام.

"إن الله يوصيكم بأمهاتكم"

ديننا العظيم أعطى مكانة كبيرة للأم ، الأمومة عظيمة وأجرها عظيم.

الفلاسفة على مر العصور قدّروا دور الأم أيضاً .

الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو شدد على دور الأم في التربية قائلاً: "الأم هي أولُ معلمةٍ للطفل، وطريقة تعاملها مع طفلها هي التي تشكل القيم الأساسية في شخصيته".

الفيلسوف اليوناني أفلاطون كان يرى أن الأم لها دور هام في تربية الطفل وتوجيهه نحو الفضيلة، وقال: "الأمهات هن الحراس الأساسيون على تعليم الفضيلة، لأنهن يضعن البذور الأولى في قلوب الأطفال".

الفيلسوف الألماني إيمانويل كانط رأى أن الأمومة هي نموذج للحب غير المشروط، وقال: "الأم هي التي تعلم الإنسان كيف يحب، وكيف يكون كريمًا وعطوفًا دون انتظار مقابل".

الفيلسوف الفرنسي فولتير قال عن الأم: "إن الحب في قلبِ الأم هو الأساس الذي يبني عليه الطفل إحساسه بالأمان في هذا العالم".

الفيلسوف اليوناني أرسطو، تحدث عن دور الأم في تشكيل أخلاقِ الطفل، وقال: "الأم هي مرآة الأخلاق، وما يَعلمه الطفل منها يبقى معه طوال حياته".

هذه الأقوال تعكس الفهم العميق لدور الأم في تكوين شخصية الإنسان وفي المجتمع ككل، حيث تعتقد الفلسفة أن الأم ليست فقط مصدر الحنانِ والرعاية، بل هي أيضًا المؤثر الأول في تشكيل قيم الطفل وفهمه للعالم.

فضل الأم عبر التاريخ هو أحد أعظم وأعمق الفصول الإنسانية التي لم ولن تتغير في كل حضارة، وفي كل ثقافة، كانت الأم هي القلب النابض للعائلة والمجتمع، وهي التي تحمل مسؤولية الرعاية والتربية ونقل القيم والمبادئ.

منذ العصور القديمة، كانت الأم رمزًا للحب والتضحية والعطاء

في التاريخ الحديث أيضًا، نجد أن الأمهات لم يقتصر دورهن على التربية فقط، بل ساهمن في الحروب، وفي النضال من أجل الحرية، وفي تطوير المجتمعات، أمهات الأبطال والشخصيات العظيمة كان لهن دور في بناء القيم التي قادت أبناءهن للنجاح.

فضل الأم ليس فقط في العطاء اليومي، بل في كونها صانعة أجيال، وراعية أرواح، وصاحبة بصمة لا تمحى في تاريخ كل فرد منا.

في ذلك اليوم المشمس، عندما خرجت من المستشفى، كان قلبي مليئًا بمزيج من السعادة والخوف، شعور عظيم يجتاحني، فأنا الآن أم، وعندما رجعنا إلى المنزل عائلتي بأكملها كانت في انتظاري، والابتسامات تضيء وجوههم.

فور دخولي، أطلقت أختي زغاريدها وبدأ الجميع بالتصفيق، كان الجو مليئًا بالفرح والسرور، وكأن كل البيت قد أضيء بمناسبة عودتي، شعرت بأنني في وسط احتفالية، وفي تلك اللحظة، نُسيت كل الآلام التي عانيت منها خلال عملية الولادة.

كانت والدتي تحضر لي طبقًا من الأكل المفيد، ووالدي ينظر إلي بسعادة، الأطفال يركضون من حولي، يباركون لي ويطرحون أسئلة عن طفلي، كل لحظة كانت مليئة بالحب، وكأنني أعيش في حلم.

إنها لحظة لن أنساها أبدًا، فقد كانت بداية فصل جديد في حياتي، فصل مليء بالتحديات، لكنني كنت مستعدة لمواجهتها، محاطة بعائلتي التي ستساندني في كل خطوة.

□

كنت أخاف أن أصبح أم

كنت أعيش في دوامة من المخاوف والشكوك قبل أن أختار طريق الأمومة، كلما تذكرت الصعوبات والمضايقات التي كانت تحيط بي بعد الزواج ،كان قلبي يخفق من فكرة أن أكون أمًا، كيف سأستطيع تربية طفل في بيئة مليئة بالتوتر؟ هل سأكون قادرة على منح ابني الحب والأمان الذي يحتاجه؟ كانت تلك الأسئلة تتردد في ذهني، ترسم صورة قاتمة عن المستقبل.

لكن عندما حان الوقت ووضعت مولودي بين ذراعي، شعرت بأن كل هذه المخاوف قد تلاشت، نظرت في عينيه الصغيرتين ورأيت فيها الأمل والحياة، كانت لحظة لا توصف، لحظة شعرت فيها بأنني قد وُلدت من جديد، أصبحت الأمومة بالنسبة لي مصدر قوة، وليست نقطة ضعف.

صحيح أنني لم أكن أملك كل الإجابات، لكن كان لدي الحب الذي كنت أحتاجه لمواجهة أي تحدٍ، بدأت أرى في طفلي نورًا ينير حياتي، ودافعًا قويًا للتغلب على أي مشكلة، كانت لحظات السعادة التي قضيناها معًا، تذوب فيها كل المخاوف والتوترات، كفيلة بأن تُشعرني بأنني في المكان الصحيح.

أدركت أن الأمومة ليست مجرد مسؤوليات، بل هي رحلة مليئة بالحب والتعلم، في تلك اللحظة أدركت أن قلبي قد اتسع ليشمل جميع المخاوف والقلق، وأصبح مستعدًا لاستقبال الفرح والبراءة التي يحملها طفلي.

لماذا عندما نكبر يكبر الخوف معنا !

هل الحياة مخيفة؟

كنت أسأل نفسي عندما بدأت أكبر ذلك السؤال؟

مرت سنوات، وبدأت أواجه تلك المخاوف اكتشفت أن الخوف كان دائماً جزءاً من الحياة، ولكنه لم يكن العدو الحقيقي، كان الخوف مجرد شعور يرافقنا حينما نقف أمام شيء جديد أو مجهول، ومع كل خطوة تخطيتها، كانت تزداد معرفتي بأن الخوف ليس النهاية، بل البداية.

كلما مررت بموقفٍ صعب، كنت أفكر في أن هذه الحياة زائلة ، لماذا الخوف من شي حتماً أتَّ! كانت تلك الكلمات كأنها ضوء يوجهني في حياتي.

الحياة في حقيقتها هي مزيج من الجمال والتحديات.

ما هي مخاوف الإنسان

في أعماق كل إنسان تسكن مخاوف، بعضها واضحة ومعلنة، والبعض الآخر خفي لا نجرؤ على البوح به حتى لأنفسنا، قد تكون المخاوف من الفقد، من الفشل، من الوحدة، أو من المستقبل المجهول. لكن تلك المخاوف، مهما كانت أشكالها، تشترك في شيء واحد: إنها تلامس أعمق مناطق الهشاشة في أرواحنا.

نخاف من الفقد لأننا نحب بعمق، نخاف من الفشل لأننا نسعى للكمال أو لتحقيق أحلامنا، نخاف من الوحدة لأننا بحاجة إلى الرفقة

والحب. ومع ذلك، هذه المخاوف نفسها هي التي تدفعنا إلى التقدم. فالرغبة في تجنب الفشل تدفعنا إلى العمل بجد، والخوف من الوحدة يجعلنا نسعى إلى التواصل مع الآخرين، والخوف من الفقد يعلمنا أن نقدر كل لحظة نعيشها.

"شعرت بدفء"

عندما مسك ملاكي الصغير شعري لأول مرة بأصابعه الصغيرة والناعمة، شعرت بدفء لمسة البراءة التي تحمل الكثير من الحب دون كلمات. تلك القبضة الطفولية، رغم ضعفها، تربط بيننا بقوة لا يمكن وصفها. ينظر إليّ بعينيه الواسعتين، وكأنه يستكشف هذا العالم الجديد من خلالي، وأشعر وكأنني مصدر الأمان له. لحظات كهذه تجعلني أقدر البساطة في الحياة، وتجعلني أدرك أن السعادة الحقيقية تكمن في تلك التفاصيل الصغيرة التي تجمع بيننا.

عندما أنظر أليه أشعر وكأن العالم يتوقف للحظة، حيث لا شيء يهم سوى هذا الكائن الصغير الذي يملأ قلبي بالسلام. تتقاطع نظراتنا، فأرى فيه البراءة النقية والتفاؤل الذي لا ينضب. لمسة يديه الصغيرة على وجهي تذكرني بأن الحب الصادق والبسيط يمكن أن يأتي في أكثر الأشكال نقاءً. كل لحظة أقضيها معه هي ذكرى تدوم مدى الحياة، تتسرب إلى روحي كما يتسرب النور إلى الفجر.

أكمل خيّال الشهر الرابع ومن ثم بدأت أسنانه بالظهور، ظهرت باكراً جداً.

كانت صحته ممتازة، ووزنُه سليم ، عندما كنت حاملًا بطفلي العزيز، تغذيت بشكل صحي ، حتى الطعام الذي لم أكن أحبه تناولته ، لأني كنت أؤمن أن كل لقمة تدخل جسدي كانت تزيده صحةً وعافية. كنت أتناول أطعمة لم أكن أستسيغها، وأشرب مشروبات لم أحبها، كل ذلك لصحته وراحته.

لقد تغذيت بطفلي، وكان هو الدافع لكل شيء قمت به كل وجبة، كل مشروب، كان يحمل معه حبًا وتضحية لا تنتهي.

عندما بدأت أسنانه بالظهور مرض كأي طفلٍ تظهر به الأسنان .

شعرت بالخوف عليه وأخبرني الطبيب أنه من الطبيعي حدوث ذلك.

ماما ♡

في ذلك اليوم، كنتِ منشغلة ببعض الأعمال المنزلية، وبينما هو يلعب بجانبي، شعرتِ بنظراته الصغيرة تلاحقني، كنتِ معتادة على سماع همساته وكلماته الغامضة، لكنه في تلك اللحظة، فجأة، بصوت صغير وواضح، قال: "ماما"

توقفتِ عن كل شيء، وكأن الزمن قد تجمد للحظة. نظرتِ إليه بعينين واسعتين ممتلئة حب كانت تلك الكلمة بسيطة، لكنها حملت في طياتها كل معاني الحنان والارتباط.

أحسستِ بشيء دافئ يغمر قلبي، وامتلأت عيناي بالدموع، ليس حزنًا، بل فرحًا لا يمكن وصفه، تلك الكلمة الصغيرة كانت بداية حوار طويل بيننا، لغة خاصة تجمع بين قلبين لا يفترقان.

في صباح مشمس، بدأت رحلتنا الصغيرة معًا كان طفلي في تلك الأيام يستلقي على سجادة الألوان الزاهية، وعيناه تتجولان في فضاء الغرفة، وكأنهما تبحثان عن مغامرةٍ جديدة، وكنت أراقبه بشغف، أرى ملامح الفرح تضيء وجهه عندما يكتشف شيئًا جديدًا.

أول مرحلة من مراحل نموه كانت جلوسه، كنت أحضره بأحضانٍ دافئةٍ وأسنده بوسادة ناعمة. في البداية، كان يتعثر، يلتوي يمينًا ويسارًا، وكأن جسده لا يزال يتعلم فن التوازن. لكن بعد أسابيع قليلة، بدأت أراه يجلس بثبات، مع ابتسامة عريضة ترتسم على شفتيه. كان هذا هو اليوم الذي أدركت فيه أنه يقترب من الاستقلال.

ثم جاء الوقت الذي بدأ فيه زحفًا. كانت الحجرة مليئة بالألعاب، وأصبح لديه هدف واحد: الوصول إلى كل ما هو ملون ومثير. كان

زحفه كرقصةٍ صغيرة، يتحرك هنا وهناك، يكتشف العالم من حوله. كان يبدو كأنه يفتح أبوابًا جديدة في عالمه الخاص.

مع مرور الأيام، بدأ يرفع نفسه على قدميه، ويستند إلى الأثاث. كأنني كنت أعيش في مشهد من فيلم، أرى كيف أنه يتشبث بأريكة، ويبتسم بفخر، وكأنها هي من ساعدته على القيام. كانت تلك اللحظات مليئة بالتحدي والإثارة.

ثم جاء اليوم المنتظر. وقفت أمامه، مشجعةً، وفتحت ذراعيّ لاحتضنه اتخذ خطوة أولى، كانت صغيرة لكنها كبيرة في قلبي. تحركت قدماه ببطء، ثم انطلق كالريح، ضاحكًا ومبتهجًا مشيته كانت مثل معزوفة جميلة، حيث كنت أسمع صوت ضحكاته يملأ أركان المنزل.

تلك اللحظات كانت مليئة بالتفاصيل. كل خطوة كانت تحمل معها ذكريات جميلة، وكل زلة كانت درسًا في الحياة. وعندما نظر إليّ بعينيه اللامعتين، أدركت أنني لم أكن مجرد أم، بل كنت شهيدة نموه، ورحلتي معه كانت قصة لن تُنسى أبدًا.

وفي كل مرحلة من مراحل نموه، كنت أرى فيه شيئًا جديدًا. كان كل يوم يحمل في طياته مغامرةً جديدة، وكل خطوة كان لها نكهتها الخاصة. ومع كل لحظة، كنت أدرك أن هذا هو جمال الأمومة، فكل لحظةٍ تمر هي هدية، وكل ذكرى تبقى محفورة في قلبي.

لنذهب قليلا إلى عالم الخيال..

في عالمٍ موازٍ بعيدٍ عن صخب الحياة العادية، كانت تعيش أمٌّ تُدعى "سارة" مع طفلها الصغير "ياسين" في مدينة بين الغيوم. هذه المدينة ليست كأي مدينةٍ أخرى، فهي مدينةٌ ساحرة، لا تُرى إلا لمن يحمل قلبًا مليئًا بالحب والنقاء. وكانت سارة تعلم أن هذه المدينة ليست منزلها الأصلي، لكنها وُضعت هناك لمهمة عظيمة.

منذ ولادة ياسين، كانت سارة تشعر بأن هناك شيئًا مميزًا في طفلها كلما نام في حضنها، كانت تشعر بنبضات قلبه تُردد كلمات غير مسموعة، وكأنها رسالة من عالم آخر. وفي إحدى الليالي، ظهر في حلمها طائر ضخم بألوان زاهية، وقال لها: "يا سارة، ابنك ليس كالأطفال الآخرين، سيأتي يومٌ يطلب فيه العالم مساعدته، لكن عليه أن يكون جاهزًا."

استيقظت سارة من الحلم، وقلبها مليء بالأسئلة. كيف يمكن لطفلها أن يكون هكذا، وما هي المهمة التي تنتظره؟ لكنها قررت أن تحميه وتوجهه مهما كان الثمن.

مرَّت السنوات، وكبر ياسين ليصبح صبيًا ذكيًا ومحبًا للاستكشاف كان دائمًا يتحدث عن أشياءٍ غريبة يراها في أحلامه؛ غابات مشتعلة دون نار، ومخلوقات غريبة تطلب المساعدة، وطرقٌ ممتدةٌ نحو الأفق بلا نهاية. وكانت سارة تعرف أن هذه الأحلام ليست صدفة، بل هي إشارات لشيء أعظم.

وفي يومٍ ما، بينما كانت سارة وياسين يسيران في الحديقة بين الغيوم، ظهرت فجأة أمامهما بوابةٌ ذهبية ضخمة ومن خلفها خرج الطائر الزاهي الذي رأته سارة في حلمها منذ سنوات. قال الطائر بصوت عميق: "حان الوقت يا ياسين، مصيرك ينتظرك."

أمسكت سارة بيد طفلها بقوة، وهي تشعر بمزيجٍ من الخوف والفخر. نظرت إليه وقالت: "مهما كان مصيرك، سأكون بجانبك. لست وحدك في هذا."

دخل ياسين البوابة، وسارة معه. وجدا نفسيهما في عالم مليء بالتحديات والمغامرات، حيث يجب عليهما معًا استخدام قوتهما الخاصة لمساعدة من يحتاج. كان ياسين يقود بالطاقة التي بداخله، وسارة تحميه بحبها غير المشروط. أصبحا فريقًا لا يقهر، يواجهان الظلام بالنور، ويعيدان الأمل للعوالم التي تحتاج إليهما.

وفي النهاية، فهمت سارة أن مهمتها لم تكن مجرد حماية ياسين، بل كانت أيضًا رحلة لاكتشاف قوتها كأم، وكيف أن الحب هو السحر الحقيقي الذي يُنير العالم.

□

عقد من الجواهر

عندما كنت حامل بخيّال، حلمت ذات ليلة بحلمٍ جميل، كان فيه عقدٌ من الجواهر والألماس. ألبستني إياه إمرأة أعرفها، لم يكن عقدًا عاديًا، بل كانت حباته كبيرة براقة تتلألأ وكأنها تحمل في طياتها أسرار الكون. كان لونها أخضر، بلون الحياة والنماء. شعرت في الحلم بأن هذا العقد هو رمزٌ لشيء عظيم، كأنه يمثل الرابط الذي يجمعني بطفلي الذي لم يولد بعد.

كل حبة في العقد كانت تحمل بريقًا خاصًا، وكأنها تعكس أملاً جديدًا في حياتي. ربما كان هذا الحلم رسالةً لي بأن الطفل الذي في رحمي هو الجوهرة الأغلى، هو الأمل الذي سيُضيء حياتي بلونٍ أخضر مليء بالحب والفرح.

الطفل بالنسبة للأم حبه تجاوز حدود الحب العادي!

مكانة الطفل عند الأم لا يمكن وصفها بالكلمات، فهو حبٌ من نوعٍ خاص، يتغلغل في أعماق قلبها منذ اللحظة الأولى التي تشعر فيها بنبضاته داخلها. الطفل بالنسبة للأم هو نبض الحياة، هو الأمانة التي تحملها بكل حبٍ وحنان، هو الحلم الذي تحقق وأصبح جزءًا لا يتجزأ من وجودها.

كل خطوة يخطوها، كل كلمة ينطق بها، تعني للأم أكثر مما تعنيه لها الدنيا بأسرها. هي تراه بعين الحب التي لا ترى فيه سوى النقاء والبراءة. مهما كبر، يبقى في عينيها طفلها الصغير الذي يحتاج إلى حضنها ودفء قلبها.

مكانته عندها تتجاوز حدود الحب العادي، فهو جزء منها، روحها التي تعيش خارج جسدها. تفكر به في كل لحظة، وتحلم بمستقبله، وتقدم له كل ما تستطيع من حب وتضحية دون انتظار مقابل، لأنه بكل بساطة، هو أغلى ما في حياتها.

ملاكي الصغير كان مفعم بالحياة والحب في عالمه لا مكان للقلق أو الخوف، كل شيء يبدو ممكنًا، وكل حلمٍ يستحق المحاولة.

إن شغفه للاستكشاف يجعلني أعيد التفكير في ما كنت أعتبره عاديًا، كيف نسينا تلك البساطة في الحياة، وتلك القدرة على رؤية الجمال في كل زاوية؟

علمني أن الفرح ليس فقط في الأشياء بل أيضًا في اللحظات الصغيرة: في قوس قزح بعد المطر، في طيور تغرد في الصباح، وفي لمسة حبٍ من شخصٍ قريب. إن فرحته هي دعوة لنا لنعود إلى براءتنا، لنكتشف العالم من جديد بأعين مليئة بالأمل.

في كل مرة أراه مبتسمًا، أذكر نفسي بأن الحياة تحمل الكثير من الأسباب للفرح. يكفي أن نتوقف لحظة، وننظر حولنا لنجد الجمال في أبسط الأشياء.

أحب خيّال الحياة كثيرًا ، كان يصنع الفرح بلمسةٍ بسيطة، يصنع سعادته من أشياء لا تُرى إلا بعين الطفولة، كان يجد متعته في فقاعات الصابون التي تطير في الهواء وتتناثر كالألماس، تتراقص وتغني في ضوء الشمس. وكان يحب الأعواد الخشبية، يلتقطها بين يديه ويحولها إلى سيفٍ بيد محارب صغير، يُقاتل بها الهواء ويُحلق في عالمه الخاص، بطلًا لا يُهزم.

بينما أنا في المطبخ أجهز الطعام، كان دائمًا يراقبني بعينين تشعان فرح ، ويترقب اللحظة التي أكسر فيها البيض ، كان يسرع للوقوف بجانبي، وتملؤه السعادة كان يحب أن يكسر البيضة وتنساب محتوياتها في الوعاء.

كان يحب تلك اللحظة، وكأنها سر من أسرار الحياة، تملؤها الدهشة والبهجة.

خيّال الحياة، طفلٌ صنع من أبسط الأشياء سعادته، علمني أن السعادة ليست في الجمال الكبير، بل في التفاصيل الصغيرة التي تمر كلمحة.

أيضًا كان محبوبًا من كل الأطفال. كانوا يلتفون حوله كلما ظهر، وكأنه كان شعاع النور الذي يجذبهم، ضحكته العذبة معدية، تملأ الأجواء بالفرح والسعادة، كان هو البطل الذي يلعب ويشارك الجميع، لا يُفرّق بين أحد، بل يمد يده للجميع، صغيرًا كان أم كبيرًا. كل الأطفال أحبوه لأنه كان يُعطيهم من قلبه حبًا لا مشروطًا، وكان يجعلهم يشعرون بأنهم مهمون ومميزون.

في كل مرة أراه بينهم، كنت أشعر بفخر كبير كيف لطفلي أن يكون هذا النور في حياة الآخرين؟

في كل مرة أخرج فيها معه، أشعر بسعادةٍ غامرة وأنا أراه يلتقي بأقرانه. مهما كانت الوجهة، من الحديقة العامة إلى مراكز الألعاب، يبدو أن سحره يجذب الأطفال من حوله كأنهم فراشات تتقافز نحو ضوء.

لحسن حظ خيّال، إنه كان محبوب من الجميع.

فكان المميز في العائلة ، الأهل ، الأصدقاء الجيران ، المعارف، من السهل أن نرى السبب: قلبه النقي، وطريقته في العطاء، ورغبته في اللعب والمرح.

كان دائمًا يحمل في قلبه حبًا غير محدود للجميع. كان ينظر إلى الناس بعينين بريئتين، تملؤهما الرأفة والحنان. لم يكن يعرف الكُره، لم يتعلم سوى العطاء والابتسام. كان يقترب من كل شخص وكأنه يعرفه منذ زمن، وكأن قلبه الصغير يتسع ليحتوي كل الأرواح حوله.

أتذكر كيف كان يهمس لي بصوته الصغير: "ماما، أنا أحب الجميع." لم يكن تمييزًا في قلبه بين قريب أو بعيد، بين صديق أو غريب. كان يحلم بأن يكون العالم مكانًا مليئًا بالحب مثل قلبه.

إنها لحظة تُذكرني بأن السعادة ليست شيئًا يمكن أن نصنعه وحدنا، بل هي هديةٌ نتشاركها مع الآخرين، وأن روح المحبة تبني عوالم جديدة في كل مكان نذهب إليه.

كنت أتحمل كل شيء، كل صمت ثقيل، وكل كلمة جارحة، وكل لحظة خذلان، فقط من أجل طفلي. كنت أعلم أنني لو انفجرت، لو انسحبت لو توقفت عن الصبر، سيكون هو الضحية الأولى.

تنازلت أحيانًا عن كبريائي، عن حقي عن غضبي المشتعل، فقط لأمنح طفلي شيئًا من الاستقرار، شيئًا من الحب الذي يستحقه، حتى لو كنت وحدي من يزرعه.

أعطيت فرصًا كثيرة، ليس لأنهم يستحقونها بل لأنني كنت أرى في عينِ طفلي أحلامًا لا أريد أن تتحطم، كنت أقول لنفسي: "ربما يتغير كل شي.

قبل أكمال خيّال ميلاده الأول ،انتقلنا إلى منطقةٍ بعيدةٍ مع والده، حيث شعرت بالغربة والوحدة، لكنني صادفت صديقات كن كالنجوم في حياتي، سكنّا في نفس العمارة وصارت حياتنا متداخلة.

كنا نتبادل الضحكات والأحلام، وضحكات أطفالنا تملأ الأجواء. كانت صداقتنا كزهرةٍ نمت في أرض قاحلة، تمنحنا الدفء والسند.

عندما أكمل خيّال ميلاده الأول خططنا لإقامة عيد ميلاد كبير له، لكن لسوء الحظ أصابتني وعكة صحية ،فلم نتمكن من إقامة حفلة الميلاد مع الأصدقاء.

في ميلاده الثاني أتذكر حفلة ميلاد طفلي وكأنها لوحة جميلة مرسومة بالذكريات كان كل شيء مرتبًا بعناية، البالونات تملأ المكان بالألوان الزاهية، صوره معلقة على الجدران والزينة تتدلى في كل زاوية، مضيئة بروح الفرح. حضر العديد من الأصدقاء وأطفالهم، وكانت ضحكات الأطفال تتردد في الأرجاء، مرتدين الأقنعة التنكرية قررت أن أُلبسه بدلةً رسميةً لأول مرة. انتقلت إلى خزانته، وقلبي ينبض بحماس.

عندما رأى البدلة، اتسعت ابتسامته، وكانت عيونه تتلألأ بالفرح. ساعدته على ارتداء القميص الأبيض الأنيق، ثم أضفت ربطة العنق. كان يبدو كالأمير الوسيم.

كانت كَعْكَة المِيلَاد مزينة بألوانه المفضلة وعليها شموعٌ صغيرة تتراقص بنورٍ خافت أقمنا له سفرة طعام فيها من أشهى المأكولات والحلويات، لقد أعددناها أنا وصديقاتي بكل حبٍ لحظة إطفاء الشموع كانت مليئة بالتشويق، وكانت عيناه تلمعان بالحماس والفرح ، أحضرنا له الهدايا.

وفي وسط الزحام والفرح، كنت أنظر إلى طفلي وأدرك أن هذه اللحظات الثمينة هي ما يجعل حياتنا مليئة بالحب ..

تمر الأيام يومًا بعد يوم و طفلي يكبر أمامي بسرعة ، لم أشعر بمرور الأيام من شدة حلاوتها ، خيّال هو سر سعادتي وروتيني اليومي.

انتقلنا إلى مدينة أخرى أنا وطفلي مع أهلي كان رفيقه في رحلته غيث ابن خاله يناديه خيّال ليث.

كانا كروحٍ واحدة في جسدين، يتشاركان كل شيء، اللعب والضحك، الطعام واللباس، لا يعرفان معنى الفراق إلا عندما يأتي النوم. حتى في صمتهما، كانت قلوبهما تتحدث بلغةٍ لا يفهمها سواهما. كانت الحياة بينهما رحلة متصلة، كل لحظة يقضونها معًا كانت تضيف لحناً جديداً لنغمة صداقتهما العميقة.

خيّال كان روحًا تسرح مع الرياح، حرًا لا يعرف القيود، وغيث كان كالمطر، هادئًا لكنه يحمل في داخله قوة الحياة. كانا يلتقيان في نقطة لا يفهمها أحد، حيث تلامس الحرية الحكمة، ويصبح كل منهما مرآة الآخر صحبتهما لم تكن في الكلام، بل في الصمت الذي يملأ الفراغات بينهما، في النظرة التي تقول ما تعجز عنه الكلمات. خيّال وجد في غيث ملاذًا من صخب روحه، وغيث وجد في خيّال نسمة تروي صمته العميق.

حين يضحك خيّال، كان غيث يبتسم بهدوء، وحين يصمت غيث، كان خيّال يتحدث بحماسة، وكأنهما يكملان ما ينقص أحدهما في الآخر.

كلما خرج خيّال للعب أمام المنزل مع رفيقه غيث كان قلبي ينبض بقوة، وعيني تراقب كل حركة، كانت ضحكاتهم تُضفي على الأجواء فرحًا، لكني كنت أشعر بقلق غريب.

كنت أراقبهم من النافذة ، وهما يلعبان كرة القدم، كأنما يتنافسان على من يستطيع تسجيل هدف.

في كل مرة يبتعد عن المنزل، كانت قدماي تجرّانني للخارج، حتى أخرج لأحضره كنت أسير ببطء، وكأنني أحتفظ بكل لحظة معه. أحيانًا كنت أتمنى لو أستطيع اللعب معه لكنني كنت أعلم أن دوري هو الحماية، أن أكون السند الذي يعود إليه في كل مرة.

تلك اللحظات الصغيرة، عندما كان يركض نحوي ويعانقني، كانت تمحو كل مشاعر القلق. ومع ذلك، كنت أدرك أن اللعب في الخارج هو جزء من طفولته، ومن المهم أن يشعر بالحرية، حتى وإن كان قلبي يخاف من كل حركة.

أحيانًا، كنت أبتسم وأقول لنفسي: "هذا هو عالم الأطفال، عالم مليء بالمغامرة والبراءة"، واستمر في مشاهدته من نافذتي، مستعدةً دائمًا للاندفاع عندما يحتاج إليّ.

كان يحب اللعب كثيرًا فكان يزعل ويتضايق مني ، يريد اللعب في الخارج عندما أراه يتحطم ويبكي ،أخرج معه إلى مكان ألعاب قريبٍ من المنزل ، يقفز بقدميه الصغيرتين ويلعب بكل حرية، ثم نشتري الشيبس و يمر بجانبنا صاحب المثلجات فنشتري منه ، نأكل ونحن نمشي ببطء ، أترك له مساحةً في التعبير عن نفسه وفي الركض، ومن ثم نذهب ألى المنزل..

ومرات كثيرة، نذهب إلى المول القريب من المنزل ، يلعب وينبسط بالألعاب، ثم ندخل إلى المطعم الموجود في المول وأطلب له ما يشتهيه ، والمفضل عنده ..

أحيانا، كنت أغضب على طفلي، مثل أي أمٍ تسعى لتحقيق الأفضل، لكن سرعان ما يزول غضبي عندما أرى عينيه مليئتين بالدموع. تلك اللحظات، التي تتجمد فيها الكلمات على شفاهي، تتحول إلى نظراتٍ مليئةٍ بالحب والندم.

كيف لي أن أتحمل رؤية تلك الدموع التي تسكب كالمطر؟ كيف لي أن أنسى تلك الابتسامة التي تضيء وجهه حين أحتضنه؟

في تلك الأوقات، كنت أشعر كأنني أعود إلى الوراء، إلى تلك الفتاة التي كانت تحلم بأن تكون أمًا. كنت أعد نفسي أن أكون أفضل، أن أحتوي كل لحظة منه، لأن كل دمعة تسقط من عينيه تُذكرني بأنني أعيش لحظات لا تعوض.

غضبي كان مجرد شبح عابر، سرعان ما يذوب تحت أشعة شمس حبه. وعندما أراه مبتسمًا مرةً أخرى، أشعر أنني في أمان، وأن كل شيء سيكون بخير.

يبدو أنني أحتفل بعيد ميلاد طفلي كل عام بطريقتين؛ سنة أكتفي فيها بالاحتفال معه وحدنا، نغرق في لحظات هادئة، وسنة أخرى نشارك الأهل والأصدقاء، حيث يمتزج الفرح بين الجميع.

سنة نعيش فيها لحظاتنا الخاصة، نعيش لحظات سحرية تجدد في قلوبنا البهجة كأنما تتراقص الألوان حولنا، نملأ الأجواء بأصوات الضحك والفرح أرى في عينيه سعادةً لا توصف، وتلمع الابتسامة على وجهه كنجمة تضيء سماء روحي.

وسنةً أخرى تتعالى فيها ضحكات الأهل والأصدقاء. في كل احتفال، يوقظ في قلبي شغف الذكريات وأماني لا تنتهي، لأرى فرحته تمتد كنجمة في سماء العمر.

عيد ميلاده الرابع

كان خيّال قبلها بأيام سعيدًا جدًا ومترقب ليوم ميلاده فكان يشغل أغنية الميلاد ويرقص رقصته الجميلة اللطيفة لقد بدأ يكبر وتكبر السعادة معه .

زينا المنزل وأقمنا له حفلةً تتعالى فيها أصوات الديجي وضحكات الأهل.

كانت الأجواء مليئةً بالضحك والفرح، كانت كعكة الميلاد مذهلة، لونها أزرقٌ زاهي، وكأنها تحمل في طياتها سماءً صافية.

في وسط الكعكة، رسمت صورة خيّال، تجمعت عائلتي حول الطاولة، وبدأنا نغني له، بينما كان هو مبتسمًا، عيناه تتلألأ بشغف في تلك اللحظة، شعرت أن كل شيء يمكن أن يتحقق، أن تلك الكعكة ليست مجرد حلوى، بل رمزٌ للأمل والسعادة.

وعندما قطعنا الكعكة، انتشرت رائحة الفانيليا في أرجاء المكان، وملأت قلوبنا بالحب والذكريات الجميلة، كانت لحظة مميزة ستبقى في ذاكرتي إلى الأبد.

اقترب عيد ميلادك يا خيّال ! ولأول مرة، لا أعد الأيام بحماسة، ولا أفكر في الشموع التي كنت ستنفخها بفرحٍ طفولي. كل شيء مختلف، كل شيء موجع.

قلبي يخفق الآن بوجعٍ يصعب وصفه. كيف لي أن أواجه هذه الذكرى التي كانت يومًا تُشعل نورًا في حياتي؟ كيف سأحتمل هذا اليوم الذي كان يملأه صوتك وضحكتك، وقد غاب كل ذلك الآن؟

كل عام، كنت أحلم بأن تكبر أمام عيني، أن أشاهدك تحتفل بعام جديد من حياتك. كنت أجهّز لك الحلوى، وأختار الهدايا التي تليق بأحلامك الصغيرة. لكن اليوم... اليوم أجد نفسي أمام فراغٍ لا يملأه شيء. رحلتَ، وأخذت معك كل لحظةٍ جميلة، كل بسمةٍ وكل ضحكة كنت أنتظرها.

ما أصعب أن يقترب يوم كان يُشرق بالفرح، وقد تحوّل إلى جرحٍ لا يلتئم اقترب عيد ميلادك، لكنك لست هنا تركتني مع ذكرى صامتة، وكعكةٍ بلا شموع، وهدايا لم تفتحها يدك الصغيرة.

كنتُ أظن أنني سأواجه كل شيءٍ في هذه الحياة، لكنني لم أتخيل يومًا أن أواجه عيد ميلادك دونك!

في صباح يوم جميل، استيقظت على صوت جرس المنبه، وكان قلبي ينبض .

اليوم هو أول يوم لطفلي في الروضة. كان شعورًا مختلطًا بين السعادة والقلق، إذ كانت هذه الخطوة مهمة في حياته، لكنها أيضًا تعني أنني سأبدأ مرحلة جديدة كأم.

استعد الطفل بملابسه الجديدة، التي كانت تلمع بالألوان الزاهية، وقمت بتصفيف شعره بحب. نظرت إلى وجهه البريء الذي كان مليئًا بالتساؤلات "هل سألتقي بأصدقاء؟" سألني بنبرة براءة ابتسمت وأجبته: "بالطبع، هناك الكثير من الأطفال مثلك، ستلعبون معًا وتتعلم أشياءً جديدة."

عند الوصول إلى الروضة، كانت الأجواء مليئةً بالبهجة. الألوان الزاهية تزين الجدران، وابتسامات المعلمات ترحب بالأطفال. لكني شعرت بشيء من القلق عندما بدأ طفلي يختبئ خلفي، لم يكن مستعدًا للانفصال.

شجعته برفق وطمأنته بأنني سأكون هنا في نهاية الدوام بعد عدة دقائق من التردد، انطلق نحو الفصل وجلس على طاولته ، وبدأتُ أرى ابتسامته تشرق عندما انضم إلى مجموعة من الأطفال.

بقيت أُراقبه من بعيد، ورأيت كيف بدأ يتفاعل ويفتح الحقيبة ويأخذ منها المستلزمات.

عدت إلى المنزل الذي لا يبعد عن مدرسة طفلي سوء خطوتين فقط فهو أمامه مباشرةً.

عندما بدأت ساعات انتهاء الدوام ،عدت إلى المدرسة ، أنظر وإذا بطفلي نزل من الطابق العلوي الذي كان فيه فصله . يدور ويبكي تحت بجانب مكتب المديرة ، ركضت إليه مسرعةً احتضنته.

وهو يبكي لماذا تركتيني وذهبتي !

سألت إحدى المعلمات لماذا طفلي بهذه الحالة ولماذا هو هنا يبكي؟

قالت لي بعد مغادرتك بدأ طفلك بالبكاء.

وهذا يحدث مع أطفال كثر أول يوم في الروضة.
أخذت طفلي وعدنا إلى المنزل وكان مُتعب
أطعمته ونام إلى العصر ، ذهبت معه ثاني يوم وكان يبكي يريدني أن أبقى معه ، بقيت معه وكانت المعلمه غاضبة بعض الشيء.

استمريت على هذا الحال ، أذهب معه وكلما هممت بالمغادرة بكى فبكى قلبي معه، ولم أشأ أن أتركه .

الغريب في الأمر أن خيّال لا يخاف من الناس بل بالعكس اجتماعي جداً ، كيف له أن يخاف يريدني بجانبه ! حتى عندما أخرج وأجلس في الصالة مقابل الفصل يبكي ويلتصق بي يريدني بجانبه..
المشرفة غضبت جداً، مني ومن أمهات مثلي عندما رأتنا، الأطفال اعتادوا بعد الأسبوع ما عدا خيّال لم يعتاد واستمر بالبكاء .
طلبت من والده أن يأخذه ، لعله يعتاد ولا يبكي، ذهب والده معه وماهي إلا دقائق أحضره لي قائلاً أنه استمر في البكاء يريدك .

أدركت أن المهم الآن نفسية طفلي . لذلك قررت أن أترك له الخيار بدلاً من إجباره على شيء لا يريده ، جلست بجانبه وتحدثت معه بكل حبٍ وصدق. سألته عن مشاعره وأشعرته بأنني هنا لدعمه، مهما كان القرار الذي سيتخذه، كانت تلك اللحظات ثمينة بالنسبة لي رأيت في عينيه الخوف والرجاء . أخبرني أنه يحب اللعب في الحديقة أكثر من الروضة، وأنه يشعر بالراحة عندما يكون بجانبي.
غضب والده وأصر أن يستمر في الدراسة.

لكنني رفضت ذلك بشدةٍ قائلة :

أنا المعلمة له سأعلمه كل ما هو في الروضة بهدوء ودون توترٍ نفسي وبكاء وبالطبع فعلت ذلك، أخذت الكتب والدفاتر و السبورة والأقلام والصلصال وكل ما يتعلق بالفصل.

وبدأت أعلمه، حفظته سورة الفاتحة .

رأيته سعيد ومنطلق ، يحمل حقيبته ويتجول في المنزل.

وهكذا استمرينا .

كان قراراً صائباً، إذ أدركت أن الحرية في الاختيار تمنح الطفل شعوراً بالأمان والثقة، لم أجبر طفلي على الذهاب إلى الروضة حفاظاً على مشاعره، بل قُمت بتعليمه كيف يكون صاحب القرارات في حياته، مهما كانت صغيرة.

قد تقولون كيف ذلك ؟

لا اختيار لطفل في دراسته ومستقبله ؟ وإنما إجباره بذلك ! أدرك ذلك لكنها روضة مرحلةٌ تمهيدية وليست أساسية، لا شهادة فيها تُحسب ، وإنما تأهيلي لطفلي نفسياً ومعنوياً هو المهم بالنسبة لي.

"طفلي الحبيب، كنتَ شمس حياتي التي أشرقت على أيامي، نشرت دفئك في كل زاويةٍ من قلبي. ومع كل صباحٍ جديد، كنتَ كالزهرة التي تزهر في ربيع العمر، تمنحني الفرح والبسمة رغم كل شيء.

لكن كما تتساقط أوراق الخريف في هدوء، رحلت عني بصمت، تاركًا خلفك فراغًا لا يمتلئ. ومع ذلك، أعرف أن الشتاء ليس النهاية، بل مرحلة انتظار لربيع جديد، وأن الحب الذي زرعته في داخلي سيزهر مجددًا، كما تزهر الأزهار بعد المطر.

في ليالي الغياب الطويلة، كنتَ قمري الذي ينير عتمة وحدتي، تُرشدني أشعتك الخافتة نحو ذكراك. ومع كل موجةٍ تأتي وتذهب في بحر قلبي، تتلاطم مشاعري بين الشوق والحنين، لكن حبك، كالبحر، عميقٌ لا ينتهي.

أنت الشجرة التي جذورها ما زالت ممتدة في أعماق روحي، مهما عصفت الرياح، ستظل قويةً وثابتة. ستظل ورود ذكراك تزهر في قلبي كل يوم، تفوح بعبق اللحظات التي عشناها معًا.

طفل البحر!

كان البحر بالنسبة له عالمًا مختلفًا، مليئًا بالحرية والمغامرات. بمجرد أن تطأ قدماه الرمال الناعمة، كان يركض نحو الأمواج، ضاحكًا بصوت عالٍ، وكأن الموجات تناديه. يحب مراقبة الأفق، حيث تلتقي السماء الزرقاء بالماء، وكان يقول دائمًا: بحر أحب البحر . كان يلعب بالرمال، وكلما اقتربت الأمواج لتأخذ بعضًا منها، كان يبتسم ويقول: "البحر يريد اللعب معي".

كل لحظةٍ كان يقضيها على الشاطئ كانت تحمل في طياتها سعادة لا توصف، وكأنه يجد في البحر صديقًا وفي الأمواج لغة لا يفهمها إلا هو.

كان يومًا هادئًا، والشمس تلقي أشعتها الذهبية على سطح البحر، بينما أمواج خفيفة تتراقص من حولنا. كنت أمسك بيد طفلي، وهو يضحك بحماسة وهو يحاول مواكبة الأمواج. كنا نسبح معًا في الماء الزاهي بلونه الأزرق، أشعر بدفء الماء على جلدي، وصوت ضحكاته يغمرني بالسعادة. في كل مرة تلامس الأمواج الصغيرة وجهه، كان يتراجع قليلاً، ثم يعود ليضحك بصوتٍ عالٍ.

كنا نشارك في تلك اللحظات النادرة من الحرية، لا شيء في الدنيا يمكن أن يضاهي فرحته، ولا شيء يمكن أن يملأ قلبي كما كانت تفعل ضحكته.

كان يتحدث دائماً بلغته عن البحر، عن حبه له عن أمواجه التي تأخذه إلى عالم آخر، وعن نسيمه الذي يبعث في روحه حياةً جديدة، كنا نخطط للذهاب معاً، أن نسير على الشاطئ ونتأمل الشروق ونتقاسم لحظات الهدوء التي لا تشبه أي هدوء آخر.

كان قلبه ينبض شغفاً لكل تفاصيل البحر، كان يرغب أن يغمر قدميه في الماء البارد ويترك الأمواج تحكي له أسرارها. كنت أرى في عينيه؛ رغبة الطفل في استكشاف العالم، وحنين الروح إلى تلك اللحظة التي تكتمل فيها السعادة.

لقد خططنا أن نذهب إلى البحر، لكنه غاب ورحل ، قبل أن تتحقق أحلامه الصغيرة. تركني وحيدة على الشاطئ أنتظر قدومه، كأن البحر أصبح رمزاً لحلم لن يتحقق، ولكنه سيظل في الذاكرة، يذكرني بابتسامته، بعيونه التي كانت تتوق لرؤية البحر وبريقه..

لننقل لكم قصة من أعماق المحيط!

في إحدى القرى الساحلية، كان هناك شاب يُدعى "أرسلان " يعيش حياةً هادئةً بجوارِ البحر الذي أحبه منذ طفولته. كان أرسلان يرى في البحر أكثر من مجرد ماء لا نهاية له؛ كان يعتقد أن هناك أسرارًا عميقة تحت سطحه، أسرارًا تحمل حكمة الحياة نفسها.

ذات ليلة، بينما كان يجلس على الشاطئ متأملًا النجوم المنعكسة على المياه، سمع صوتًا خافتًا قادمًا من الأعماق. اقترب من الماء بخوفٍ وفضول، وفجأة، ارتفعت موجةٌ صغيرة لتهمس له: "البحر ليس كما تراه، إنه مرآة الحياة." صُدم أرسلان ، لكنه شعر بشيء داخلي يدفعه للغوص في الأعماق.

قرر أن يغامر، فاستعد ونزل إلى البحر. بينما كان يغوص أعمق، بدأ يشعر وكأنه يعبر عوالم أخرى؛ في كل مستوى من الأعماق كان يلتقي بكائنات بحرية تخبره قصصًا مختلفة عن الحياة. الحيتان تروي له حكايات الحكمة والصبر، الأسماك الصغيرة تتحدث عن الشجاعة في مواجهة المجهول، أما الشعاب المرجانية فتهمس بأسرار الزمن والتجدد.

كلما تعمق أكثر، شعر وكأنه يفهم الحياة بشكل أعمق. أدرك أن البحر، تمامًا مثل الحياة، يحمل في طياته الألم والفرح، الجمال والخطر، الصمود والانكسار. في إحدى أعماق البحر المظلمة، التقى بحورية بحر قديمة جدًا.

عيناها تتلألآن بحكمة السنين، اقتربت منه وقالت بصوت هادئ: "البحر مثل الحياة، لا تبحث عن الإجابات في سطحه الهادئ، بل اغمر نفسك في أعماقه حيث تختبئ الأسرار. كل إنسان يحمل بداخله بحرًا من الأحلام والمخاوف، والغوص في هذا البحر هو ما يجعلك تكتشف حقيقتك.

لا تبحث عن الإجابات في الخارج، فكل ما تحتاجه هو أن تغوص في أعماقك."

عاد أرسلان إلى السطح، لكنه لم يعد نفس الشخص. تعلم أن الحياة، مثل البحر، تحتاج إلى صبر وتعمق لفهمها.

ملاكي الصغير كان يرى الجمال في شروق الشمس وغروبها، وكأنه يقرأ حكاية السماء مع كل لون. كان يستيقظ ليرى الفجر، ويبتسم وكأن الضوء يهمس له بأسرار الحياة. وعند الغروب، كان يتأمل كيف تنطفئ الشمس برفق، ويقول لي: 'الغروب هو وعد بأن الصباح سيعود.'

ملاكي لم يكن يمر على التفاصيل عبثًا، بل كان يغرق فيها بحب، علمني أن الجمال يكمن في كل لحظةٍ هادئة، في كل لونٍ يتبدل في السماء، وفي كل همسة خفية للطبيعة. في غيابه، صرت أرى العالم بعينيه، كل شروق وغروب يذكرني أنه ما زال هنا، في التفاصيل

خيَولي ومزحه اللطيف

عندما كان عمره ثلاث سنوات، كان عندما يريد أن يسعدني يقول ماما حلوة وعندما يريد أن يزعلني يقول ماما يع!

في إحدى اللحظات الجميلة، كنت أتصفح على الانترنت عندما سمعت صوت ضحك طفلي يتردد في الأرجاء. التفتُّ لأرى ماذا يحدث، فوجدته ينظر إليّ بعينيه اللامعتين، وقد أعاد ترديد كلمة ماما يع بطريقة مضحكة. كلما ناداني، كان يضيف حركات طريفة، مما جعله يبدو وكأنه يمثل في عرضٍ كوميدي.

لـم أتمالـك نفسـي مـن الضـحك، لكننـي كنـت أيضًـا أُظهـر بعـض الغضـب المفتعل. "لا تناديني بهذا الشكل، سأغضب عليك! قلت له، لكنه لم يتوقف. بل زاد من حركاته، وكأنما يتحدى غضبي بحماسه. ضحكته كانت مليئة بالبراءة، وكأنما تقول: حتى لو كنت غاضبة، أنا هنا لألعب وأضحك!

في تلك اللحظة، أدركت أن ضحك الأطفال يحمل سحرًا خاصًا، فهو قادر على تحويل الغضب إلى فرح، والقلق إلى سعادة. ضحكته كانت كفيلة بأن تنسي العالم بأسره همومي، وتعيد إليّ روح الطفولة التي لا تقدر بثمن.

عندما يركض نحوي ليحضنني ، كانت الدنيا تتوقف للحظات. عيناه تلمعان بالحب والفرح، وعيناي أيضاً ، يمد ذراعيه الصغيرتين نحوي كأنهما جناحا طائرٍ يحلق في السماء. كنت أفتح ذراعي بانتظار تلك اللحظة الحلوة التي يعانقني فيها، فأحمله بين يدي وأعانقه، وأشعر بدفء جسده الصغير قريبًا مني وقلبه ينبض مع قلبي .

كنت أدور به كأننا في رقصةٍ خاصة بنا، كل ضحكة منه تشبه نغمةً موسيقية، وكل التفافةٍ تشبه رحلةً جديدة في عالمنا الصغير. لم يكن هناك أي شعور يضاهي فرحتي بتلك اللحظات، كانت تعني لي الحياة كلها.

كانت تلك اللحظات تختزن في قلبي، وأشعر أن الزمن يتوقف ليحتفظ بها للأبد.

٥٣

خيّال الأنيق

لطالما كان خيّال قطعة من الأناقة تسير على الأرض. لم يكن يتوقف اهتمامه بالمظهر عند اللباس فقط، بل امتد ليشمل كل تفصيل في حياته اليومية. في كل وجبة يتناولها، كان يُعطي الأكل حقه من التقدير، يحرص على ترتيب الصحن ويحفظ ألنعمه، كان يأكل ببطء، يذوق كل لقمة وكأنها نغم عذب يُعزف خصيصًا له.

أما في لباسه، فقد كان يجسد المعنى الحقيقي للأناقة. لم يكن يختار ملابسه بعشوائية، بل كان يبحث عن الألوان التي تتناغم مع بعضها، ويُظهر في اختياراته ذوقًا رفيعًا يتجاوز عمره. كل قطعةٍ من ثيابه كانت تعبر عن شخصيةٍ راقيةٍ وذوق استثنائي.

كنا نجلس سويًا، أنا وهو، نختار ثيابه بعناية وننسقها كأننا نصنع لوحةً فنية. كنت أرى في عينيه بريق السعادة كلما حمل قطعة ملابس جديدة، نختار الألوان بعناية، ونحرص على أن يكون كل شيء متناسقًا، تمامًا كما يحب.

كان يبدو وسيمًا، خصوصًا عندما يقوم بتمشيط شعره للوراء، وكأنه بطل يستعد للظهور في مشهدٍ يفيض بالثقة والجمال.

دائما كان يحمل في إطلالته تلك اللمسة الخاصة التي تجذب الأنظار. كلما ارتدى شيئًا، كان يبدو عليه وكأنه خُلق له. كان كل لباسٍ، مهما كان بسيطًا، يبرز جماله بشكل ملفت. كانت أناقته لا تأتي من الثياب فقط، بل من ذلك النور الذي ينبعث منه، نورالبراءة والحب.

فطيرتنا السحرية!

ذات يوم كنا أنا وطفلي مستلقين على ظهورنا في تلك الليلة الهادئة، وكانت السماء مرصعة بالنجوم كأنها عُقد من الماس تتلألأ في فضاءٍ بلا حدود. تنفست بعمق، وأحسست بنسمات الهواء العليلة تداعب وجهي. إلى جانبي، كان طفلي يراقب القمر، الذي كان يشع بنوره الفضي، مبهجًا في عظمته.

"أمي، انظري! إنه يشبه الفطيرة!" قال، وعيناه تلمعان بالبراءة. ضحكت، وأجبته بأن القمر هو فطيرتنا السحرية، التي تطعمنا أحلامنا.

فجأة، مرت طائرة في السماء، وكأنها تسير على خيوط من الفضة. نظر إليّ صغيري بفضول، وسأل: "أين تذهب؟" أخبرته بأن الطائرة تحمل مسافرين إلى أماكن بعيدة، ربما إلى مدنٍ جديدة أو دولٍ غريبة.

وأن هذه الطائرة ستوصله يومًا ما إلى رفيقه غيث ، الذي سافر إلى دولةٍ أخرى .

عندما سافر أهلي شعرت وكأن شيئاً فارغاً في قلبي، كان صوت ضحكاتهم وذكرياتنا يملأ المنزل، أصبح المكان هادئاً جداً. قضيت اليوم مع طفلي، الذي كان يلاحقني بنظراته البريئة، يسألني عن أهلي الذين ذهبوا بعيداً.

كنا نتجول في المنزل، وأنا أحاول أن أشتت انتباهي بتذكر اللحظات الجميلة التي قضيناها معاً ، لكن كلما نظرت إلى الأبواب المغلقة أو الأماكن ،التي اعتادوا الجلوس فيها، كان الألم يزداد. كنت أتذكر كيف كان الجميع يجتمعون لتناول الطعام، يجتمعون لشرب الشاي ، وكيف كانت الأصوات تتعالى بالضحك والمزاح.

في ذلك اليوم، تعلمت أن الحب لا يعرف المسافات. حتى وإن كانوا بعيدين، فإنهم يعيشون في قلبي وفي ذكرياتي، وأدركت أنني يجب أن أكون قويةً لأجل طفلي، لأن كل لحظة نعيشها معاً هي كنز، فمهما كانت المسافات تبقى الروابط العائلية هي الأكثر قوة وجمالاً.

وبينما كنت أراقب غروب الشمس، شعرت بالهدوء يلفني أدركت أن السفر قد يفرقنا جسدياً، لكن أرواحنا ستبقى متصلة دائماً.

كنت أستصعب سفر عائلتي لأن ذلك كان صعبًا جدًا على طفلي، لم أكن أستطيع تخيل كيف سيتحمل تلك الغربة، تلك المسافات التي تقطع بينه وبين من أحبهم ، ولكنني في قرارة نفسي كنت أرغب في

مصلحته في أن يكون له عالمه الخاص ، أردت له الاستقرار حاولت وحاولت إلى أن حققت له ذلك بعد تعبٍ وعناءٍ طويل.

لأنني أعرف ما الذي يريده حتى وإن لم يتكلم ويشرح لي أشعر به، أريد له حياةً مستقرة مثل باقي الأطفال.

لا أريده أن يلومني يومًا ما، ليرى هو بنفسه ويقتنع بذلك ويأتي ذلك اليوم الذي يقول لي : كُفي عن ذلك يا أمي، لقد ضحيتي كثيراً من أجلي !

هاتي يدكِ ولنمضي معًا في هذه الحياة، بخطى ثابتة، بعيدًا عن كل ما يؤذينا فنحن نكفي لبعضنا.

الضيف الذي يحبه خيّال

في كل عام، عندما يقترب شهر رمضان، كان خيّولي يغمره الفرح كأنه ينتظر عيدًا خاصًا به وحده.

كان يحب زينة رمضان ، أشتري له قميص وفانوس رمضان منذ أن كان عمره سنة.

كل ما كبر سنه ازداد حماساً وفرحة لرمضان.

كنت ألتقط له الصور الجميلة التي تملؤها السعادة والذكريات.

كان يمسك بالفوانيس الصغيرة، وكأنها كنوزٌ لا تقدر بثمن. يضع كل زينةٍ بحب ودقة، ويعود ليعيد ترتيبها أكثر من مرة حتى تكون مثالية في عينيه. مرضان هكذا كان ينطقه.

رمضان ٢٠٢٤م كان آخر رمضان يتواجد فيه خيّال وكان أجمل رمضان قضيناه سويًا في منزلنا الخاص بنا أنا وخيّالي..

كان رمضان يقترب بخطوات هادئة، وكنا، أنا وخيّولي، ننتظر قدومه بفارغ الصبر.

ليلة رمضان جلسنا معًا نجهز الحبال ونرتب الزينة. كنا نضحك حين تتشابك الحبال أو نعلق الفوانيس في مكانٍ خاطئ، لكن تلك اللحظات الصغيرة كانت كنزًا لا يُقدر بثمن. كنت أراقب طفلي وهو يعلّق الفوانيس بحماس، وكأن هذا العمل البسيط يمنحه شعورًا بالإنجاز والفخر.

وبعد أن انتهينا من تعليق كل شيء، أطفأنا الأضواء وأضاءت الفوانيس، وكانت لحظةً سحرية. جلسنا معًا ننظر إلى الفوانيس المضيئة، وقلت له بهمس: "رمضان الآن صار أجمل بوجودك." ابتسم لي، وعرفت أن تلك اللحظة ستبقى محفورة في ذاكرتي إلى الأبد.

□-حتما سيأتي رمضان ولكن خيّال قد رحل!

من سيزين معي الجدران ، مع من سأبتهج به لمن سألتقط الصور ، من سيحمل فانوس رمضان ؟

كيف سيكون شعوري في ذلك الوقت؟

أشعر ببرودة وإحباط واختناق من الآن عندما أتذكر ذلك.

ستبقى صوره وفيديوهاته وذكرياته معي .

ستبقى زيناته الرمضانية جزءًا من ذاكرتي. تضيء كل زاوية في البيت وكأنها تقول لي: "أنا هنا، أشارككم رمضان بروحي."

رمضان لم يكن مجرد شهر صيامٍ وعبادة، بل كان أيضًا وقتًا نتشارك فيه الضحكات والذكريات التي تبقى معنا مهما مرّ الزمن.

تبقى زيناته الرمضانية معي، سأحتفظ بسعادته في أطار وأعلقه في قلبي ، وفي كل مكان.

سيبقى جماله وحماسته ترافقني في كل عام.

سأتخيل صوت خيّال عندما يقول لي : جاء رمضان وينط من فرحته.

-ألعيد أكثر من يفرح به الأطفال-

الأطفال يفرحون بالعيد لأنه يمثل لهم وقتًا مميزًا مليئًا بالفرح، الهدايا، والحلوى. يرتبط العيد بالعديد من الأنشطة التي يحبونها، مثل ارتداء الملابس الجديدة، زيارة الأهل والأصدقاء، والحصول على العيديات. بالإضافة إلى ذلك، الأجواء الاحتفالية والألعاب تجعل العيد لحظةً مميزةً من المرح والسعادة بالنسبة لهم.

ونحن الأمهات نسعد بسعادة أطفالنا ونشاركهم فرحهم وحماسهم ونوفر لهم كل شي.

نبتهج بالأعياد عندما نراهم في أحسن صورة وفي سعادة.

كانت السعادة تغمرني وتملأ قلبي وأنا أمسك بيد ملاكي الصغير. كنا نسير معًا نحو محلات الملابس، نتأمل في تلك الألوان الزاهية للملابس المعلقة، والتي تزين واجهات المحلات، كأنها تعدنا بفرحةٍ لا تنتهي.

توقفنا عند أحداها ، وأخذ خيّولي يتنقل بين الملابس، عيناه تتألقان بالفرح والدهشة. كان يلمس الأقمشة الناعمة، ويبتسم وكأن العيد كله يختصر في تلك اللحظات. اخترنا معًا ملابس جميلة، بألوان تناسب براءته وروحه النقية، وكان يعبر عن فرحتنا المشتركة في العيد.

نعود إلى البيت، وألبسه الملابس الجديدة. كان يقف أمام المرآة ويبتسم بسعادةٍ غامرة. رأيته وكأنه أمير صغير، جاهز للاحتفال بالعيد بطريقته الخاصة، وأنا أشاركه كل لحظةٍ سعادة.

هكذا نفعل كل عام ....

□

عيد الفطر لسنة ٢٠٢٤ م

كان عيدًا مميزًا، وكان قلبي مليئًا بالفرح والحنين. في صباح ذلك اليوم المشمس، استيقظت على صوت ضحكات خيّولي الذي كان يتنقل في المنزل كالفراشة النشطة.

ألبسته ملابسه الجديدة، ووضعت له الحذاء الأسود الجلد ، رششته بالعطر ، لم يكن يحتاج للعطر ، فرائحته كزهرة اللافندر منذ أن خُلق.

كان يراقبني بعينيه اللامعتين ، ويبتسم ابتسامة تعكس براءته وعفويته ، ذهبنا إلى صلاة العيد ، ومن ثم رجعنا إلى المنزل ، وبدأ يلعب بالألعاب النارية الخاصة بالأطفال، وانا أحضر الطعام ، بعدها ذهبنا إلى منزل جده ، حتى المساء.

وفي المساء رجعنا للمنزل ولعبنا بالألعاب النارية التي أطلقها خيّال في السماء بألوانها الزاهية وضحكاتنا السعيده.

ثاني يوم العيد ذهبنا إلى منزل أختي ومن ثم مساءًا ذهبنا لزيارة عمتي، بعد ذلك عند مغادرتنا مررنا بحديقةٍ جميلة ، طلبنا العشاء وجلسنا في الحديقة نتسامر نحن وأختي وأولادها ، كان يوماً مليئًا بالجمال، كان يحب أولاد خالته كثيرا ، كما كان مولع بحب أهلي جدًاااا، خيّال كان دائمًا يجد الراحة والدفء بين أخواله وأولادهم، كأنهم جزء من روحه. تربى بينهم، ولعب معهم، وشاركهم كل لحظة فرحٍ وحزن. كان بيت أهلي ملاذًا له، حيث يجد الحب والحنان الذي يملأ قلبه، فكبر بينهم بقلب مليء بالحب لهم ...

ثالث يوم بالعيد طلب مني طفلي أن نذهب إلى الملاهي، ذهبنا معاً وكان المكان مكتظًا بالأطفال الذين يصرخون من الفرح. رأيت صغيري يجري نحو الأرجوحات، وتعلو وجهه ابتسامة عريضة، كان يصر على تجربة كل الألعاب، وكان قلبه مليئًا بالفرح.

تلك اللحظات كانت تشبه الحلم، حيث كنا نضحك ونلعب دون أي قلق. وفي كل مرة يصرخ فيها من شدة الفرح، كنت أشعر أن العالم قد توقف من حولنا. كانت الأضواء تضيء كل شيء، والأصوات تملأ الأجواء، لكنني كنت أسمع فقط صوته، ضحكته التي كانت تنساب كالموسيقى في أذني.

لم أكن أدرك أن تلك اللحظات ستكون ذكرى خالدة، لكنني كنت أشعر بعمق أن كل ثانيةٍ مع طفلي كانت ثمينة، وفي كل ابتسامة كانت ترسم على وجهه، كنت أكتشف معنى جديدًا للسعادة.

لقد كانت زيارة الملاهي في يوم العيد ليست مجرد نزهة، بل كانت تجربة لتجديد الأمل، وتذوق الفرح البسيط الذي يُعطيه لنا أطفالنا. فعلى الرغم من أنني أعيش الآن في غياب طفلي، تبقى ذكرياته في الملاهي مثل شمس دافئة تضيء قلبي كلما تذكرتها.

هذا هو العيد الأخير الذي رأيت فيه خيّال بملابس العيد يلعب ويركض سعيد .

هذا هو آخر عيد رأيت فيه خيّالي عيناه تلمعان كأنهما تُودِّعان العالم دون أن أدري، ضحكته كانت تغمرني دون أن أعلم أنها النهاية، لم أكن أدرك أن تلك اللحظات تحمل وداعًا خفيًا، تركتني أواجه الأعياد وحدي، أبحث عن ظلّه في كل زاوية، فلا أجد سوى صمت الأيام.

لم يكن يومًا يمر دون أن أحمل الكاميرا في يدي، أعشق تلك اللحظات التي أستطيع فيها تجميد الزمن، والتقاط لحظات من البراءة والضحك في عينيك. كنت تعلم كيف تسحرني، بضحكتك العفوية وعيونك الواسعة التي تحكي ألف حكاية.

كنا نخرج إلى الحدائق، إلى البحر، وحتى في زوايا البيت البسيطة كنت ألتقط صورك. لم تكن الصور مجرد ذكريات، بل كانت محاولتي لإيقاف الزمن معك.

كنت أراك في تلك الصور فارسًا، خيّالًا صغيرًا يجوب العالم بابتسامة لا تعرف الحدود.

الآن، عندما أفتح ألبوم الصور، أراك مجددًا، خيّالي الذي لا يبرح ذاكرتي. كنا نلتقط الكثير من الصور، لكنني أدركت أنني لم أكن ألتقط مجرد صور، بل كنت أحتفظ بلحظات لا تقدر بثمن.

في لحظات من الضحك الصافي والسعادة العفوية، نقرر أنا وخيّولي أن نبدأ بتصوير فيديوهاتنا المضحكة. نبحث عن تلك اللحظات الصغيرة التي تجعل اليوم أكثر إشراقًا، مثل حركاته العفوية أو كلماته الطفولية التي تُضحكني من أعماق قلبي. نضع الكاميرا ونتصرف بطبيعتنا، فنبتسم، نرقص، وربما نلقي نكتة لا يفهمها أحد سوانا.

في تلك الفيديوهات، لا يهم أن يكون كل شيء مثاليًا أو منظمًا، بل أن نكون نحن بكل بساطتنا تلك اللحظات تبقى ذكرى خالدة، ونتذكر أن السعادة الحقيقية تكمن في التفاصيل الصغيرة التي نصنعها مع من نحب.

عندما رحل خيّال! وجدت نفسي أبحث عن بقايا من وجوده، عن شيء يعيد لي ذلك الشعور بالدفء والاطمئنان الذي كان يحيط بي عندما كان معي. فتحت هاتفي، وبدأت أتصفح تلك اللحظات التي جمعتنا معًا، صورنا، وفيديوهاتنا. كانت ضحكاته تتردد في أذني، كأنها تحاول أن تسد فراغاً تركه رحيله.

كل صورةٍ تحمل في طياتها ذكرى، وكل فيديو كان بمثابة نافذة إلى عالم كان فيه كل شيء يبدو أفضل وأجمل. ضحكاته، كلماته، وحتى حركاته البسيطة، كلها محفورة في تلك اللقطات. لم تكن مجرد صور، بل كانت حياة كاملة استرجعتها لحظات، ولكنها كانت كافية لتملأ قلبي بحنين لا يوصف.

كان الهاتف نافذتي إلى الماضي، إلى لحظات كنت أعتقد أنها ستظل موجودة للأبد. لكنني أدركت أن تلك الذكريات ستبقى، وإن رحل جسده، فإن روحه ستظل دائمًا معي دائماً..

□

لا أريد أن أكتب النهاية!

أخاف من السرد الأخير، من كتابة الأحداث الأخيرة المؤلمة، من كتابة سيناريو النهاية، لقد خُتمت قصتنا قبل أن تبدأ!

لقد افترقنا باكراً ، قبل أن نكبر معاً ، قبل أن أراه وقد حقق أحلامنا ، التي لطالما حلمناها معاً .

كنت أفكر بالمزيد من أجل طفلي ، لقد كانت ستة أعوام فقط ! ستة أعوام لم تكتمل.

مرت كلمح البصر، لكن كل ثانيةٍ منها كانت مليئة بالفرح والسعادة. كانت ضحكتك تضيء أيامي، وعيناك اللامعتان تحملان براءة لا تُضاهى. كنتُ أشعر أن الزمن توقف، وأن هذه السنوات الست هي أروع ما مرّ في حياتي.

أحببت كل لحظة قضيتها معك، وكل ذكرى محفورة في قلبي لم تكن مجرد سنوات، بل كانت عالمًا خاصًا بنا، مليئًا بالحب والمغامرات. أتذكر أول خطواتك، أول كلماتك، وكيف كنت تملأ البيت بالحياة. لن توجد أعوامً مثلها، فهي كنز سأحمله معي إلى الأبد.

كنا دائما نتشارك في حب الأشياء البسيطة، ألوان الفراولة الحمراء التي كانت تضيء يومنا، ومرارة الشوكولاتة الداكنة التي تذوب في أفواهنا، ممزوجة بحلاوة المثلجات الباردة التي كنا نتناولها في الأيام الحارة. لم يكن مجرد طعام، بل كانت لحظات من الحب والتواصل.

كان خيّولي دائمًا يحضر لي الفراولة والشوكولاتة الداكنة ، يعرف أنني أحبها كما كان يحبها، عندما يذهب إلى السوبرماركت مع والده، يعود حاملاً الكثير من الأشياء التي نحبها و نتشاركها سويًا. بابتسامة صغيرة على وجهه.

في كل مرة يضعها أمامي، كنت أشعر بأنه يشتري لي العالم بأسره.

تلك الذكريات تظل حيةً في قلبي، كأننا ما زلنا نجلس معًا، نضحك ونتبادل تلك الأطباق التي تحمل لنا كل معاني الحب."

كل ليلة، كان هناك طقس مقدس بيني وبين خيّولي بعد أن ينتهي اليوم بحكاياته الصغيرة وضحكاته الطفولية، كان يأتي إليّ بعينيه الواسعتين، مرهقًا لكن رافضًا أن يستسلم للنوم إلا بين ذراعي. كان حضني هو الملاذ الذي يأويه من كل شيء، المكان الذي يجد فيه الأمان والراحة.

كنت أجلس على السرير، وأغني له تلك الأغنية التي طالما أحبها، بينما أملس على شعره الناعم. رويدًا رويدًا، كنت أشعر بثقل جسده الصغير وهو ينساب إلى نومٍ عميق، وكأن حضني هو المفتاح السحري الذي يفتح له باب الأحلام.

عندما شاهد خيّال أطفال غزة في نشرة الأخبار سألني بصوت خافت: "لماذا هم هكذا؟" نظرت إلى عينيه البريئتين، ورأيت فيها حزنًا ودهشة حاولت أن أشرح له لكن كلماتي كانت عاجزة عن وصف الألم الذي يعيشونه.

سألني من فعل بهم هذا ؟

أغمضتُ عيني للحظة، أبحث عن كلمات تتناسب مع عمق السؤال. كيف أشرح له واقعًا مريرًا، حيث تُستباح الطفولة وتُسرق البراءة؟

قلتُ له: "يا صغيري، هم اليهود المحتلون. هم من اعتدوا على الأطفال والأبرياء، وهم من يقتلون الصغار الذين لا يعرفون سوى اللعب والضحك."

عندما انتهت تلك اللحظة، كنت أعلم أنني لم أقدم له إجابة كاملة، لكنني زرعتُ في قلبه بذور الوعي، وعلّمته أن السؤال هو بداية الطريق نحو الفهم.

بدأ يهتم بالسؤال عنهم ، تعجبه أغاني فلسطين المشهورة حاليًا ، يشاهدهم في اليوتيوب ويعيد تكرارهم، ويغني معهم بصوته الطفولي الشجي، أخذت له فيديوهات عديدة وهو يغني ، وفيديو وهو يتكلم ويقول عندما أكبر سأحرق إسرائيل!

يتكلم بتفصيل ماذا كان سيفعل بهم عندما يكبر؟

لقد كانت لديه خطة !

كيف لطفلٍ في مثل عمره أن يفكر هكذا.

الأطفال لا يفكرون إلا في اللعب والأكل والنوم.

لقد كان خيّال طفل مختلف

طفل شجاع ، وذو شخصيةٍ قوية ، حساس ، وفيه من الرحمة الكثيرة ، يبكي عندما يرى أطفال غزة! يريد أن ينتقم لهم!

كان دائمًا مؤيدًا للمقاطعة، عندما نذهب إلى السوبر ماركت يسأل عن المنتجات قبل أن يشتري.

رغم صغر سنه كان يفهم بطريقة بسيطة.

أن بعض الأشياء لا تناسبنا، وأن الموقف الصحيح أحيانًا هو أن نرفض. كان يسألني لماذا لا نشتري تلك المنتجات، فأخبره أننا نختار ما يتماشى مع قيمنا. أراه يبتسم بفخر وكأنه يدرك أن تمسكنا بمبادئنا هو القوة الحقيقية. علمني كيف أن القيم تولد مع الإنسان، وتنمو معه رغم بساطة العمر.

طفلي الصغير الذي كان يمتلئ قلبه بحب الحيوانات، كان دائمًا يتطلع بشوق لرؤية البط .

لقد ذهب مع والده الحديقة ذات يوم. ورأى البط أعجب بهم والتقط له والده صوراً وهو ينظر لهم بإعجاب..

أما القطط، فكانت تعيش في أزقة الحيّ، وكان خيّال يراقبها وهي تقفز من سور إلى آخر، وتلعب في أشعة الشمس، كانت القطط بذكائها وتحرّكاتها الرشيقة تجذب انتباهه، وكان يتمنى دائمًا أن يقترب منها ليلاعبها، لكنه كان يعرف أنها تفضّل حريتها، لذلك كان يكتفي بمشاهدتها من بعيد بابتسامة واسعة.

كان أيضا يحب الطيور بأنواعها، تتبع عينيه كل حركة وتغريدة وكأنها لحنٌ يشدّه، أما الأرانب، فكان يراقبها بتقدير، يضحك عندما تقفز حوله، يمدّ يديه وكأنه يريد أن يمسح على فروها الناعم.

أول مرة رأى فيها الأرانب عندما كان عمره سنتين، أحضرنا له أرنبًا، وكان مندهشًا للغاية، عينيه تتسعان من الفرح والدهشة، وكأن العالم كله قد تجسد في تلك اللحظة الصغيرة.

خيّال كان يؤمن أن هناك شيئًا مميزًا في تلك اللحظات الصغيرة التي تجمعه مع هذه المخلوقات. كم أحب أن يراهم، وكم كانت رؤيتهم تجلب له سعادةً خالصة وهدوءًا ..

اللبنة الأولى التي تضعها الأم في قلب طفلها هي الحب، ثم يتبعها الإيمان بقدراته، والتوجيه نحو الطريق الصحيح. الأم المربية ترى في طفلها إمكانيات لا حدود لها، وتعمل جاهدة على تنميتها، صابرةً على الصعاب والتحديات، عالمةً أن كل تجربة هي فرصة لتقوية الأساس.

كما أن البرج لا يُبنى في يوم وليلة، كذلك بناء الطفل يتطلب وقتًا وجهدًا، يتطلب صبرًا وحكمةً وتوجيهًا مستمرًا. الأم المربية تدرك أن كل كلمةٍ تنطقها، وكل تصرف تفعله أمام طفلها هو لبنة تضاف إلى شخصيته، فتبني بحب وإخلاص.

في النهاية، نحتاج لأمهات مربيات لأنهن يضعن اللبنة الأولى التي تتحول مع الزمن إلى برج شامخ يضيء في المجتمع،

يقال أنه في إحدى أيام الشتاء الباردة، عاد توماس إديسون إلى المنزل وهو يحمل رسالة من مدرسته. أعطاها لأمه، و عيناه الصغيرتان مليئتان بالتساؤلات. أخذت الأم الرسالة وقرأت ما فيها. سرعان ما امتلأت عيناها بالدموع، ولكنها أخفت ذلك بسرعة عن ابنها. ثم ابتسمت وقالت: "مدرستك تقول إنك عبقري ولا يستحقون أن يدرسوك هناك بعد الآن. لذلك، سأقوم أنا بتعليمك في المنزل."

مرت السنوات، وكبر توماس ليصبح أحد أعظم المخترعين في التاريخ. لكنه لم يعرف الحقيقة إلا بعد وفاة والدته. وبينما كان يبحث في أوراقها القديمة، وجد الرسالة نفسها. فتحها بيده المرتجفة وقرأ: "ابنك بليد جدًا، ولا يمكنه مواصلة الدراسة في مدرستنا بعد الآن."

أدرك إديسون حينها أن والدته، بحبها وإيمانها به، هي التي صنعت منه ذلك العبقري الذي غير العالم.

نحتاج مثل هؤلاء الأمهات في عالمنا ، كل النساء قادرات أن ينجبن، ولكن القليل منهن من تكون أم ، الأمومة هي العطاء ، هي أن تصنعي شباب المستقبل ،

"نحتاج لأمهات مربيات يضعن اللبنة الأولى لطفل لكي يصبح برجًا"

في بداية كل رحلة إنسانية هناك أم تزرع أولى البذور، وتضع أولى اللبنات هي من يغرس القيم، ويعلم المبادئ، ويرسم الطريق. الأم المربية ليست مجرد راعية، بل هي بانية، تضع أساسًا متينًا لشخصية طفلها، وتبني طموحه خطوةً بخطوة حتى يصبح برجًا شامخًا في المجتمع.

كان خيّولي يحب المطر، وفي كل مرة تبدأ السماء بالهطول، كانت الابتسامة تضيء وجهه الصغير. كان المطر بالنسبة له مثل صديقٍ قديم، يدعوه للعب والضحك.

كنا نمسك بأيدينا، نركض تحت السماء المفتوحة، والمطر ينساب على وجوهنا، ونضحك وكأننا في عالم آخر. كنت أراقبه وهو يرفع يديه للسماء، يستقبل القطرات وكأنها هديةٌ من السماء.

في تلك اللحظات، كنت أشعر أن العالم كله يتوقف، وأن المطر يغسل همومنا ويعيد لنا السعادة التي كدنا ننسى وجودها. كان طفلي خيّال يرى في المطر حياة، وكنت أراه فيه الأمل.

آخر مرة نزل المطر في رمضان، كان كل شيء مختلف في ذلك اليوم السماء بدت وكأنها تفتح أبوابها لتروي الأرض بعد جفاف طويل، وقطرات المطر الأولى كانت وكأنها تحمل معها بركةً خاصة ،كنت أنا وخيّال، نجلس بالقرب من النافذة، نراقب المطر وهو يتساقط بهدوء، ومع كل قطرة كانت تنزل، كانت تأخذ معها شيئًا من هموم الدنيا.

كانت تلك اللحظات مليئةً بالسكون والراحة، المطر يغسل الأرواح قبل الأرض، وكنت أرى في عيون خيّال تلك البهجة الطفولية التي كان يشعر بها دائمًا عندما يرى المطر. أتذكر كيف كان يتحدث عن رائحة الأرض وهي تتنفس بعد المطر، وعن البرودة التي تسري في الهواء فتنعش الروح.

ذلك اليوم كان مميزًا، كأن المطر جاء ليحمل لنا هديةً من السماء، ولم نكن نعلم أنه سيكون آخر مطر نستمتع به سويًا!

منذ أن جاء ملاكي الصغير إلى هذه الدنيا كنت أشعر بأنّ هناك رابطًا خاصًا بينه وبين والدي.

كان والدي يحب خيّال حباً يفوق الوصف يميزه عن الجميع، ويقف كالحصن المنيع أمام كل ما قد يؤذيه.

وكان خيّال أيضا يحبه حباً عميقاً، يركض إليه بفرح كلما رآه، وكأن قلبه يجد في قربه طمأنينة العالم كله.

لكن ما كان يميز علاقتهما حقًا هو حبه لأغنية "يا مسافر بلادك". في كل مرة تنطلق أنغامها، كنت أرى عينيه تتلألأ بالفرح. كان يقفز فرحًا، ويردد الكلمات الصغيرة مع جده ،كأنه يود لو تكون الأغنية هي صوت ذكرياتهما المشتركة. كان يرقص على إيقاعها، ويدور حول جده، وابتسامته لا تفارق وجهه.

"يامسافر بلادك، ليل والشمس غابت ، كان يرددها ببراءة، وكأنه يتمنى لجده رحلة جميلة حتى أنه بعد سفر جده كان يغنيها ويبكي على فراقه، أحيانًا كنت أشعر بأنه يستمد من تلك الأغنية قوةً خاصة، وكأنها تجسد أعمق مشاعر الحب التي يكنها له.

بقي خيّال يملؤه الشوق والمحبة، يراقب السماء كل مساء وكأنها بوابة إلى عالمه المفقود، كل يوم كان يجهز حقيبته، يضع فيها دميته المفضلة وثيابه، وينظر ألي بعينين مشعتان بالأمل، كمن يودع العالم ليبدأ مغامرة جديدة.

كنت أراقبه كل يوم، أرى براءته تتلألأ وحلمه يسطع في عينيه، وأقول له بابتسامةٍ مشدودة بين القلب والدمع: "سنسافر يوماً ما معاً، ونزورهم ." كان يرد بابتسامةٍ لا تعرف الخوف: "نعم، سنسافر ونبقى معاً."

لم أكن أعلم أن خيّال كان يستعد لرحيلٍ أبدي

لحظةً تسحب منه الحياة كما يسحب المد البحر من الرمال. لم أكن أدرك أن حقيبته لم تُعد لتأخذه إلى حيث كانوا، بل إلى مكان أبعد بكثير مكان لن يعود منه أبدا .

رحل خيّال، وتركني بين الذكريات، بين حقيبةٍ صغيرة مليئة بالانتظار، وألمٍ يتجذر في صدري، يروي لي كل يوم عن رحلةٍ لم تكتمل لكنه كان يحمل في قلبه حباً لا يفنى، وحلماً يلامس النجوم. كان يتجهز ليس لمغادرة الأرض، بل ليحلّق في السماء، حيث يلتقي بمن أحب، ويُسَبح في بحر الأبدية الذي لا يعرف الفراق.

في ساحةٍ صغيرة في فناء المنزل، حيث تتراقص أوراق الشجر مع النسيم العليل، يقف أمامي خيّال الرياضي! عينيه تلمعان بشغف. الكرة بين قدميه، مثل حلم يختصر الآمال والطموحات. يركض، يراوغ، ويهتف، كل ضحكة تتعالى كأنها نشيد انتصار.

عندما يسجل هدفًا، تتراقص فرحته في قلبي، وتلتف حولنا ألوان السعادة. أعلم أن كل ركلة وكل ضربة هي خطوات نحو عالمه الخاص، حيث يصبح كريستيانو رونالدو، اللاعب المفضل عنده ، الذي يشجعه ويقلد حركته عند الفوز، أرى فيه ذلك الطفل الذي لا يعرف المستحيل، يصرخ ويضحك وكأن العالم بأسره ملكٌ له.

كل يوم نخرج في فناء المنزل ونلعب ، أتظاهر بالخسارة أمامه، أرى فرحة النصر في عينيه أعلم أنه يبني أحلامه في تلك اللحظات البسيطة، وهو يركض نحو غدٍ مشرق. كرة القدم ليست مجرد لعبة بالنسبة له؛ إنها لغة يتحدث بها، ووسيلة ليعبر عن ذاته في عينيه، أرى الأمل والإصرار، وكأنما كل ضربة للكرة تُعيد تشكيل مستقبله.

خيّال بكرته يحمل أحلامه بجدية، ويعلمنا أن نستمتع بكل لحظة، لأن الحياة مليئة بالفرص، مثل تلك الكرة التي تنتظر من يركلها نحو الأفق.

في أحد الأيام العادية، كان خيّال يلعب في غرفة المعيشة، حيث انتشرت الألعاب هنا وهناك. كان يحمل مسدسه البلاستيكي، وفي عينيه بريق المغامرة. بينما كنت مشغولة ببعض الأعمال، فجأة سمعت صوت إطلاق النار، فالتفت لأجده يتجه نحوي مبتسمًا، متظاهرًا أنه البطل في معركته الخيالية.

وجه مسدسه نحوي ، كأنه يخوض معركةً ملحمية، وأنا أعتبر نفسي هدفًا غير محظوظ. لم أستطع إلا أن أبتسم، حيث كان يعكس شغفه وخياله الواسع.

قررت أن أشارك في هذه اللعبة، فتظاهرت بأنني قد تعرضت لإصابة سقطت على الأرض متظاهرة بأنه تغلب علي. "لقد هزمتني!" صرخ ضاحكاً. كانت ضحكاته ترتفع في أرجاء المنزل، وأشعر أن هذه اللحظات البسيطة تعني الكثير.

بينما كنت مستلقية على الأرض، نظرت إليه ورأيت الفخر يتألق في عينيه. كان هو البطل، وأنا الضحية. كانت هذه اللحظات تمنحني شعورًا بالسعادة الخالصة. في تلك الأوقات، كنت أشعر بأنني عدت إلى طفولتي، أعيش مغامرات جديدة كل يوم.

أدركت أن هذه الألعاب ليست مجرد تسلية، بل هي طريقة لتعليم طفلي عن النصر والهزيمة، والتعاون والمرح. لقد جعلتني أرى العالم من منظوره، عالم مليء بالإثارة والإبداع.

بينما نضحك معًا، أدركت كم أن هذه اللحظات عزيزة، وكيف يمكن للعبة بسيطة أن تخلق ذكريات لا تُنسى. وكلما سمعته يصرخ " هزمتك!" كنت أبتسم وأشعر بالامتنان لأنني أملك هذا الطفل الرائع في حياتي.

أستيقظ كل صباح على صوت طائري الرفراف الذي يملأ قلبي بالحب والفرح. أسمعه يردد كلماتٍ بسيطة لكنها تحمل في طياتها معاني عميقة. "ماما، أنا أحبك! أنتي أحلى وحده في العالم ، يقولها بصوت مليء بالبراءة والثقة.

كلما قالها، أشعر وكأن العالم كله يتوقف لحظة، وكأنني أغمر في بحر من السعادة. يده الصغيرة تمتد لتحتضنني، وعيناه تتلألآن كنجوم في سماءٍ صافية.

هذه الكلمات ليست مجرد تعبيرٍ عن الحب، بل هي أيضاً تأكيد على الروابط التي تجمعنا. كل "أحبك" تصنع لحظاتٍ من الفرح، وتحفر ذكريات في أعماق قلبي.

في أوقات الشدائد أو اللحظات الصعبة، أعود لتلك الكلمات، وأجد فيها العزاء والقوة. أذكر نفسي أنه مهما كان ما يحدث في العالم، هناك طفلٌ صغير يعبر لي عن حبه الصادق.

ومع كل "ماما، أنا أحبك"، أتعلم قيمة الحب الحقيقي. حبٌ لا يعرف الحدود، ولا يتأثر بالعقبات ، حبٌ يبقى خالداً في القلب، مثل أطيب الذكريات التي أحتفظ بها.

ستبقى هذه اللحظات محفورة في ذاكرتي، وسيستمر هذا الحب في النمو بيننا مع مرور الأيام أكثر وأكثر. أعدك يا صغيري أن أكون

دائماً هنا لأستمع لكلماتك في مخيلتي ولأقول لك بدوري: "وأنا أيضاً أحبك كثيرًا أكثر مما تتخيل.

وستظل طفلي الأول المميز ، ستبقى الأفضل و الأمتع والأروع والحبيب الأول ..

ماما أنا سأذهب إلى الجنة!

آخر فترة من حياته كان كل يوم يقول لي ذلك أنا سوف أذهب إلى الجنة هناك في السماء، عند المصطفى !

يوجد مقطع فيديو كنا نتحدث وفجأة يقول لي أنا يعجبني الله سأذهب إليه، الله هو الذي يُؤكلني ويُشربني !

عندما يغني أنشودة "مصطفى مصطفى" بكل حماس كل يوم. كان وجهه يُضيء بالسعادة وهو يتحدث عن الجنة، قائلاً بفخر: "سأدخل الجنة! حتى أنه قال لجده ذات يوم سأدخلك معي الجنة ! كأنه كان واثق من دخولها.

كنت أتساءل هل كل الأطفال هكذا؟

لكن أرى أطفال العائلة لا يقولون هذه الكلمات إطلاقا، كيف لطفلي الصغير أن يذكر هذا الشي العظيم !

هل هو طفل مُستثنى، هل سيكبر ويقدم لدينه وأمته شي عظيم ؟

تُرى هل الإيمان النقي الذي يحمله في قلبه ينعكس على كلماته !

"كان يقول لي بثقة: سأذهب إلى الجنة يا أمي. لم أكن أعي حينها أن كلماته كانت قدرًا ينطق على لسانه. رحل طفلي، وترك خلفه يقينًا عميقًا بأن الجنة كانت وجهته الحقيقية منذ البداية."

في أحد الأيام بينما كان يركض هنا وهناك يلعب ويضحك، فجأة، وكأن السعادة توقفت لحظة، اقترب مني بوجه جاد وقال: "ماما، أنا سأموت".

تجمدت في مكاني، وشعرت بقلبي يتوقف للحظة. كيف لطفل في هذا العمر أن يتحدث عن الموت بهذه البساطة؟ تساءلت عما يدور في ذهنه، ولماذا قال ذلك. هل سمع شيئًا من الأصدقاء؟ أم أن الخيال الغني لديه جعل هذا الفكرة تنمو؟

"عزيزي، لماذا تقول هذا؟" سألت بصوت متردد. نظر إلي بعمق، كأنه يقرأ أفكاري، ثم قال: " أمزح معك ". أدركت في تلك اللحظة كم أن الفطرة البشرية قاسية. حتى الأطفال يمتلكون وعيًا بمرور الزمن، وبالرحيل.

عدنا للعب، لكن كلمات طفلي لم تفارق ذهني.

وكرر ذلك مراتٍ عديدة ! خصوصًا عندما كان يمرض يقول ذلك لكن آخر مرة قالها قبل أن يموت بساعات مسك بيدي وقال ماما سأموت! وفعلاً حدث ذلك ....

□

هل كل الطرق تؤدي إلى روما؟

في حياة كل منا، نجد أنفسنا نتبع مسارات مختلفة بحثًا عن هدف معين. هذه المسارات قد تكون طرقًا مستقيمة، أو متعرجة، أو حتى مليئة بالعقبات. لكن السؤال الذي يطرح نفسه: هل كل هذه الطرق تؤدي في النهاية إلى "روما"، أي إلى ما نرغب في الوصول إليه؟

أحيانًا أشعر أن الطريق الذي أسلكه بعيدًا جدًا عن ما كنت أتمنى، لم تكن تجربة زواجي ناجحة.

في لحظةٍ ما، كنت أحلم بأن يكون زواجي هو الجسر الذي أعبر به إلى حياة مليئة بالسعادة والاستقرار. ولكن، لم تجرِ الرياح كما تمنيت.

ولكن كانت أمومتي ناجحة جدا أمومتي كانت ملاذي، كانت السبب الذي جعلني أقف وأواصل. رغم كل الصعاب، عندما أرى خيّولي ، كنت أرى في عينيه حباً لا يوصف، وكأن كل لحظة معه تعيد تشكيل حياتي وتملؤها بالمعاني. كنت أمًّا ناجحة بكل معنى الكلمة، ليس لأنني كنت مثالية، بل لأنني قدمت له كل ما أستطيع من حب، اهتمام، وحرص على أن يعيش حياة أفضل.

بينما كان زواجي ينهار تحت وطأة الخيبات والخذلان، كانت أمومتي تتفتح كزهرة صمّاء في صحراء قاحلة، في عيني طفلي كنت أرى العالم بأسره؛ براءته كانت تلملم جروحي وابتسامته تعيد لي الأمل في كل صباح.

هو وحده من علمّني أن الحب لا يُقاس بمقدار ما يُعطى، بل بمدى ما ينمو ويزهر في قلوبنا رغم الظروف. في كل لحظةٍ كنت أختبرها كأم، كنت أكتشف أن القوة ليست في الخلاص من الألم، بل في القدرة على احتضانه وتحويله إلى حبٍ لا ينتهي، أمومتي، رغم كل شيء، كانت وتبقى الأجمل والأصدق في حياتي.

بالفعل، ليس كل الطرق تؤدي إلى روما بالمعنى التقليدي، فبعض الطرق تأخذنا إلى وجهات غير متوقعة، وتجارب قد تبدو خارج سياق خططنا لكن تلك التجارب تشكلنا وتساعدنا على فهم أنفسنا بشكل أعمق.

ليس المهم أن نصل إلى روما، بل كيف نعيش الرحلة ونستفيد من كل لحظة نمر بها.

فالطرق التي نسلكها، مهما كانت طويلة أو معقدة، لكنها تمنحنا دروسًا قيمة وتمنح لحياتنا معنى وتجربة سعيدة جدًا .

في كل مرة أحاول أن أكون حازمة، أن أضع حدودًا صغيرة تحميه، يقترب مني بعينيه الواسعتين المليئتين بالبراءة، يمسك بيدي برفق، ويهمس لي قائلاً: "أرجوك، ماما." هنا، ينهار قلبي. كيف يمكنني أن أقاوم تلك النظرة وذلك الصوت الذي ينضح حبًا ورجاءً؟ فأسرع بلا وعي إلى تلبية طلبه، كما لو أن قلبي يُساق بيده الصغيرة، وكأنما كلماته سحرتني.

هكذا كان طفلي، يعرف كيف يخترق دفاعاتي بأبسط الكلمات، فيقلب قراراتي، لأشعر بأن تلبية طلبه هي طريقتي في أن أقول له: "أنا هنا من أجلك دائمًا".

تلك الكلمة، التي تخرج من فمه الصغير، تذوب قلبي كأنها مفتاح سحري لا يمكنني مقاومته. أرى في عينيه براءة وحاجة، فأجد نفسي مسرعة لتلبية ما يطلبه دون تفكير. "أرجوك" منه ليست مجرد كلمة، بل نغمة ساحرة تمتزج بصوته العذب، وكأنها تسحرني لأستجيب بكل حب وحنان.

كان هناك مكان مميز قريب من المنزل، حديقة صغيرة مليئة بالأشجار، والأزهار المتنوعة، حيث كنت أذهب مع طفلي. كانت تلك اللحظات تمثل لي العالم بأسره، وكأن الزمن يتوقف عندما نكون معًا.

كنا نخرج عصراً، كنت أشعر بالحماس ونحن نستعد للخروج. كان خيّولي يختار لعبة جديدة يأخذها معه، أحيانًا كرة أو دمى صغيرة، وأحيانا آخذ له ألعاب من البائعين قُرب الحديقة.

عندما نصل إلى الحديقة، كان طفلي يركض فرحًا، يضحك ويستكشف كل زاوية. كنت أشاهد كيف يلعب مع الأطفال الآخرين، وكيف يتفاعل مع الطبيعة من حوله، وكان قلبي مليئًا بالحب والفخر. كنا نقطع الوقت في اللعب، نتسابق على الأراجيح، ونلعب الكرة، نجلس على المقعد الخشبي ونتناول المثلجات يكمل لعبه بسعادة، وأنا جالسة أتأمل له.

أحببت تلك اللحظات، فكل يوم كان يحمل مغامرة جديدة، وكل ضحكة من طفلي كانت تُشعرني بالسعادة. كنا نعود إلى المنزل محملين بذكريات جميلة وابتسامات لا تُنسى.

للأسف، لم يعد بإمكاني الذهاب إلى تلك الحديقة كما كنا نفعل! لكنني سأحتفظ دائمًا بتلك اللحظات في قلبي، وسأحكي عنها لأحبتي، لأبقي روح طفلي حية في ذاكرتي.

ذات يوم بدأت أشعر بالتعب والضعف، وشيئًا فشيئًا، أُصبت بوعكةٍ صحيةٍ عابرة. كنت أظن أن الأمر بسيط، لكن مع مرور الوقت، زادت الأعراض وبدأت أستشعر القلق. وعندما رأى طفلي ملامحي الشاحبة، شعرت بحزنٍ عميق يتسلل إلى قلبه.

كنت أراقب كيف تبدلت ابتسامته إلى تعبيرات القلق. سألني ببراءة: "ماما، لماذا لا تضحكين؟" كان يقترب مني، يمسك بيدي، ويُحاول بكل حنان أن يُسليني. ولكنه كان يشعر بالألم الذي الذي كنت أشعر به.

لم يكن الأمر مجرد مرضٍ عابر ، بل كانت لحظة تكشف عن عمق مشاعره. كلما تدهورت حالتي، كنت أرى حزنًا يلوح في عينيه، كأنه يحاول فهم لماذا تتألم والدته. كان يصر على أن يبقى بجانبي، يقدم لي الماء، ويحضر لي الأدوية ، ويحاول أن يرتب المكان.

كنت أنهض لأهتم به وبالمنزل، وأتظاهر أني بخير، كان يبتسم ويتحدث إليّ عن الألعاب التي يرغب في لعبها وكيف أنه يتمنى أن أكون بصحةٍ جيدة لأتمكن من اللعب معه.

كنت أخاف من أن يحدث لي شيء! من سيعتني بطفلي؟!

كنتُ أحمل هذا السؤال في أعماق قلبي كحِملٍ ثقيل، ينهش روحي بصمتٍ لا يُحتمل. كل لحظةٍ، كنت أستمع إلى نبضات قلبي وكأنها تنبض بهواجس الأمس، الخوف من الغد. لم يكن خوفي من الموت، بل من الحياة بعدي. كيف سيكبر في عالمٍ لا أكون فيه؟ كيف سيتعلم المشي في دروب الحياة دون أن أمسك يده؟

كنت أفكر في تلك التفاصيل الصغيرة التي كانت تعني كل شيء. من سيضمه حين يشعر بالخوف؟ من سيغني له تلك الأغاني التي لم يحفظها غيري؟ كيف سيمضي يومه دون صوتي الذي يناديه كل صباح؟ هل سيتذكر ضحكتي، دفء يدي، رائحة حضني؟

ربما كان هذا الخوف جزءًا من كوني أمًا، الخوف الذي يعريكِ من كل ثباتٍ ويجردكِ من الاطمئنان، لكن في داخلي، كنت أعلم أنني مهما فعلت، لن أتمكن من حمايته من قسوة الفقد. كيف يمكن للأم أن تقبل بأن هناك احتمالًا، مهما كان بعيدًا، أن يواجه طفلها العالم وحيدًا؟

"كنت أخشى أن يأخذني الموت، أن أغادر وأتركه وحيداً في هذا العالم. كنت أعيش في ظل هذا الخوف كل يوم، لكن ما لم أتوقعه أبدًا هو أن القدر سيعكس المشهد، وأنه سيغادر قبلي، ويتركني وحيدة!! وحيدة في عالم كنت أراه مظلماً من دونه، والآن أصبح أكثر ظلمة بفقدانه."

رحل صغيري أولاً، وأنا ما زلت هنا، أحمل وحدتي بين ضلوعي. تركني وأنا التي كنت أستمد حياتي من ضحكته، والآن كل شيء بات باهتاً، خالياً من أي نبض... تركني ورحل إلى حيث لا أستطيع الوصول إليه، وأنا هنا أتجول في حياةٍ بلا روح، بلا ملاك صغير يرافقني."

في كل مرة أضع يدي على خدي، كانت نظراته تتغير، في تلك اللحظات كنت أفكر. لكن فجأة، أراه يقترب مني بخطواته الصغيرة. ينظر إليّ ببراءة وتلك العيون التي تحمل في داخلها حبًا لا يُوصف. يرفع يده الصغيرة ليبعد يدي عن خدي، ويسألني بصوت ملائكي: "ماما، إنتي ليش زعلانة؟"

في تلك اللحظة، يختفي كل الحزن، وكأن سؤاله الطفولي يزيح كل ثقل الدنيا كيف يمكن للحزن أن يبقى عندما يكون هذا الملاك الصغير بقربي، يحمل كل هذا الحب والاهتمام لي؟

في عالمه البسيط، كان يُشعرني بأنني محور حياته، وكانت لمسات يده الصغيرة تعبر عن حبٍ عميق.

كان يهتم بي بطرق غير تقليدية، بحبٍ بلا حدود.

ضحكته كانت تشع بهجة، وزهوره التي يقطفها لي كانت تعبيرًا عن حبه العميق في كل لحظة حزينة، كان يقترب مني، كأنه يعرف أن سعادتي هي أولويته.

كلما نظرت إلى عينيه الواسعتين، أرى فيهما براءة العالم وسعة قلبٍ لا حدود لها. كان خيّولي الحنون دائمًا يسعى لإرضائي، حتى في أبسط الأشياء. أحيانا عندما يطيل في اللعب ولا يسمع الكلام يطنش اويتغاضى عنه ، أغضب منه نوعا ما ، ولكن سرعان ما يأتي ألي ليحتضنني، ويهمس في أذني: "ماما، لا تزعلي مني ، أحبك."

أعانقه عناق طويل وعندما أرى وجهه أراه مبتسم تلك الابتسامة الخاصة به كأنما أراها الآن.

كان يحاول دائمًا رسم الابتسامة على وجهي، وكأنه يخاف أن يرى لحظة واحدة من الحزن في عيني. طفلي الحنون كان يعلم أنني مصدر الأمان له، وأعلم أنا أيضا أنه مصدر الطمأنينة والدفء لي.

بدأت أجواء عيد الأضحى تلوح في الأفق. مع اقتراب العيد، كان طفلي يعبر عن سعادته بطريقة خاصة. لم تكن الابتسامة تفارق وجهه، وكأن العيد يحمل له بشائر الفرح والمرح.

كل يوم، كان يسألني عن موعد العيد، ويتحدث بحماس عن الأضحية، والزيارات العائلية، ووجبات العيد الشهية. كنت أراقب عينيه اللامعتين، وهو يتخيل اللحظات السعيدة التي سنقضيها معًا. وصلت طلبيه ملابس العيد الخاصة بخيّال ، لقد اخترناها معا من التطبيق كانت ملابس أنيقه وجميله جدا ، وذهبنا معًا إلى السوق لشراء الحلوى واخذنا كل مايلزمنا من أجل العيد ، واخذنا أيضا العاب العيد..

□

أتى العيد وأخذ خيّولي معه!

في كل عام، يطل علينا العيد بأجمل ألوانه وأصواته، محملًا بالفرح والسرور لكن هذا العيد كان مختلفًا، فقد جاء حاملاً في طياته غصة كبيرة، إذ جاء ليأخذ خيّال ابني معه، ويترك قلبي ينوح في صمت.

تذكرت كيف كان يتأهب لاستقبال العيد، يرتدي ملابسه الجديدة، ويجوب المنزل بحثًا عن كل ما يبعث على الفرح. كان يرقص في كل زاوية، وابتسامته تشع كالشمس، تملأ الأجواء دفئًا. كنت أشعر بفرحته، وكأنها تشعرني بأن الحياة لا تزال جميلة.

لكن في هذا العيد، مرض خيّال، وبدلًا من الضحكات والألعاب، كان هناك صمتٌ رهيب يحيط بي. أستطيع سماع أصوات العيد في الخارج، لكن قلبي كان محاصرًا بالألم كيف يمكن للعيد أن يكون عيدًا دون ضحكته؟ كيف يمكن للأضواء والألوان أن تُبهج النفس بينما خيّال ملقى على الفراش؟

كلما نظرت إلى الأضواء المتلألئة والأطفال يلعبون، أفتقد خياله، ضحكاته، وأحلامه التي كانت تتراقص كالفراشات. العيد يأتي كل عام، لكن هذه المرة جاء ليأخذ معه جزءًا من روحي، ليترك لي فقط الذكريات والألم.

أتى العيد وأخذ طفلي معه، وأصبح العيد بالنسبة لي رمزًا للفقد، ذكرى مؤلمة تسكن قلبي. سأظل أنتظر كل عام، علّ الفرح يعود، لكنني أعلم أن هذا العيد سيبقى في ذاكرتي كتذكار للحب المفقود.

أصابته حُمّى قبل العيد بيومين، استشار والده أخته الدكتورة ، ووالدته الممرضة سابقاً أيضا صرفو له دواء خافض للحرارة مع التكميد.

لكن لم ينفع ذلك ، أخذناه للمستشفى لإجراء الفحوصات ، صرفو له إبر ومحاليل وريدية، وتابع والده حالته مع أخته وأمه ، وكان يخبرني أن افعل مثلما يقولون لي وأنا وثقت بهم كون عندهم خبرة في مجال عملهم (الطب) وكنت أتواصل مع أخته أيضا كل وقت ليطمئن قلبي ، كنت أشرح لها حالة خيّال أولًا بأول فكانت تقول لي افعلي كذا وكذا لتخفيف الحُمّى وأفعل مثلما تقول لي، وكنت مُهتمة بإعطائه السوائل خوفاً من أن يصيبه الجفاف، حتى أنني كنت أخبرها كيف أعرف إذا أصابه جفاف أعطتني طريقة أكتشف بها ذلك من خلال إصبعه، وكان والده يأخذه كل اليوم إلى المشفى.

ثالث يوم بالعيد ذهبت منه الحُمّى، فكان أسعد يوم في حياتنا، نتباشر فيه بأن خيّال تعافى ولله الحمد.

أخذه والده ظهراً للمشفى، لأخذ آخر إبرة له، عندما أحضره لبسنا ملابس العيد أنا وطفلي ، وابتهجت جداا و جاءت أختي لزيارتنا .

كان يومًا مميزًا، اليوم الذي ارتدى فيه خيّولي ملابس العيد وهو بصحة جيدة، كان وجهه يضيء بالأمل، وعيونه تعكس فرحة الشفاء

التي كنا جميعًا ننتظرها. كنا نخطط للاحتفال معًا، نستقبل العيد بضحكاتنا ونحتفل بقدومه ببهجة خيّال.

ارتديت أنا وهو ملابس جديدة، مزينة بالألوان الزاهية، وكأننا كنا نحتفل بالنصر على المرض. استمتعنا بلحظات السعادة القصيرة، أتحدث معه واحتضنه وانا سعيدة جدًا وكأن الحياة قد عادت إلي من جديد.

في ذلك اليوم ، جاءت أختي لزيارتنا، أنبسطنا وكان نهار سعيد لنا جميعا بشفاء خيّال وعند خروجها من المنزل ، كان خيّال جالس في حضن والده أمام المنزل في الهواء الطلق ذهبت إليه حملته بين ذراعيها كمن يحمل الدنيا بين يديه، واحتضنته بقوة، كأنها ترفض أن تتركه.

بدأت تقبله من رأسه إلى قدميه وكأنها تودعه!

وأنا أنظر لهم من بعيد، أرى الحب والعطف والحنان الذي انسكب من قلب أختي الكبيرة لطفلي الصغير قرة عيني وقلبي.

خيّال كان هادئًا بين أحضانها، وكأنه يشعر أنها لحظات وداع، كانت أختي تحاول أن تحتفظ بكل جزء منه في ذاكرتها، وكأنها تلتقط من روحه شيئًا تأخذه معها إلى الأبد.

رحل خيّال، لكن قبلات أختي بقيت في قلبي، تذكرني دائمًا أن الحب الحقيقي لا يودع أبدًا، بل يبقى حيًا في الذاكرة والروح.

من مغرب ذلك اليوم وأنا أشعر أن طفلي ليس بخير أبدًا كان يتألم من بطنه ويدخل الحمّام وكان مرهقًا جدًا وكنت أقول لوالده لنذهب به إلى المستشفى ولكن كان يقول لي بأنه بخير وأن هذا شيءٌ طبيعي ويحدث ذلك ، تتصفى معدته من آثار الحُمّى !!

هكذا أخبرته أمه! بأن يغلي له الشمر واليانسون ولا أعلم ماذا أيضًا! وسيكون بخير ولكنني لم أسمع لكلامهم هذه المرة ، وسكبت خلطتها السحرية في مغسلة المطبخ!

وكنت أصر على والده بأن خيّال ليس بخير ولكن دون جدوى ، كان كلام أمه يتغلغل في عقله وقلبه ويستقر ولا يرى أمامه شيء ، إنه آخر فرمان يصدر بحقنا ويجب تنفيذه!

أحياناً أشعر أن رأيها يطغى على صوته الخاص، حتى لو كان خاطئ ويضرنا أنا وطفلي بالنهاية كالعادة.

مساء ذلك اليوم، تعب خيّال وساءت حالته.

فجأة تلاشت الألوان من وجهه، وحلت محلها علامات الضعف، كنت أشعر بالقلق يزداد في صدري ، ارتعبت كثيراااا.

لماذا يتألم من بطنه؟ لماذا تغير لونه !

حتى أنه بدأ يتقيأ والغائط كان لونه أسود!

وفوراً أسعفناه ركضاً إلى المشفى القريب منا كان يقول لوالده وهو يحمله أوقف سيارة أمي تعبت وهي تمشي!!!!! حتى وهو بهذه الحالة الموجعة يفكر بي ! كأنه منديل دموعي .

نظرت إليه وأنا أبكي رأيت في عينيه الصغيرتين نظرات لم أفهمها، حاولت أن أكون قوية، أن أسند جسده الضعيف بكل ما أملك من حبٍ وحنان أسعفناه بكل ما أتيح لنا، ولكن جسده لم يتقبل.

لم يمضِ وقت طويل حتى تم إدخاله العناية المركزة. شعرت كأن قلبي قد انكسر، وكأن كل الفرح الذي عشنا فيه ذلك اليوم قد تبدد عجزت عن فهم كيف يمكن فجأة أن تُأخذ منا السعادة بهذه السهولة، وكيف يمكن أن نعود إلى الظلام بعد أن استنارت قلوبنا.

عندما أدخلوه غرفة العناية، كان كل شيء يحيط بي يتلاشى. أدركت أنني لم أستطع فعل شيء، سوى الوقوف هناك، متجمدة، أشعر وكأنني أعيش كابوسًا لا نهاية له. كنت أصرخ، لكن صرخاتي كانت تتلاشى في زحام المستشفى، كنت أركض بلا هدف، كأنني أبحث عن مخرج من هذا الواقع المرير.

في ذلك اليوم المأساوي، كنت أرى طفلي يتألم، وعينيه الصغيرتين تتوسلان المساعدة. كانت الصرخات تتردد في أذني، لكن لم يكن هناك من يسمع. كلما اقتربت من الغرفة، كان قلبي يخفق بشدة وكأنني أركض في سباق ضد الزمن.

مع كل خطوة، كنت أستحضر ذكرياته البسيطة، ضحكاته التي كانت تملأ المنزل، وعيونه اللامعة التي كانت تعكس براءته. كيف يمكن أن أواجه فقدان كل هذا؟ في تلك اللحظات، شعرت بأن العالم قد انقلب رأسًا على عقب، وكأنني أعيش في فقاعة من الألم.

يا له من شعورٍ مرعب أن ترى طفلك في غرفة العناية، بعيدًا عنك، محاطًا بالأجهزة الطبية والأطباء الذين يتحدثون بلغة لا أفهمها.

كنت أريد أن أكون بجانبه، أن أمسك بيده، أن أقول له إن كل شيء سيكون على ما يرام. لكنني كنت عاجزة، أقف في الزاوية، أتأمل هذا المشهد الذي لا أستطيع تحمله.

في تلك اللحظات، أدركت أن الحب يمكن أن يكون عبئًا. كان حبّي لطفلي يثقلني، يجذبني إلى قاع المحيط من الألم، بينما كنت أستطيع أن أرى الضوء في الأعلى.

في تلك الليلة المظلمة، كنت جالسةً في ممر المستشفى، أشعر بالقلق والضياع ،كلما تذكرت طفلي، تملكني شعور لا يوصف، وكأنني أعيش في حالة من الفراغ. كنت أصيح أريدهم أن يدخلوني لااراه ، لقد كان قلبي محطم ، كنت جثة لاروح فيها

حينما دخلت الغرفة الباردة، تلك التي تملؤها أصوات الأجهزة والآلات، شعرت أن قلبي سقط على الأرض كان صغيري مستلقياً، كأنما الآلات تحاول سرقة أنفاسه.

كان قلبي ينبض بسرعة، وتملكني شعور مختلط من الخوف والترقب. وعندما رأيت خيّولي، كان الوضع مخيف جداً. كان ممدد على السرير، محاط بالاجهزه ،عينيه اللامعتين تنظر إلي، وكأنما أستشعر وجودي.

تقدمت نحوه، وكان يتحدث معي بصوتٍ ضعيف، لكن كلماته كانت تملأ الغرفة دفئًا. "أمي، أنا هنا"، قالها بصوت هادئ، وكأن الحياة لم تفقده بعد. وضع يده الصغيرة على وجهي، وكان كأنه يطبطب علي، يهديني في وسط العاصفة.

شعرت بلمسة حنانه، وكانت تلك اللمسة آخر طبطبة بيني وبينه !

كان يقول لي ماما أريد ماء ، أحضرنا له الماء، قطرات من الماء فقط سمحوا لي أن أعطيه.

ثم نظر إلي وكأنه خائف من الأجهزة.

جلست اطمن عليه أنها ألعاب مثل التي باليوتيوب لاتخاف!

كنت أجلس بجوار سريره أشعر بثقل الأيام التي مرت عليه، وبأمل عميق يملأ قلبي. كانت عينيه تلمعان ببراءة لا مثيل لها، ورغم المرض الذي نغص عليه حياته، كان هناك شيء في تلك العيون يبعث الأمل في نفسي.

قلت له بصوت هادئ، "عندما تتعافى، سنذهب إلى البحر الذي تحبه، تخيلت سعادة وجهه وهو يستمع إلي. "سأشتري لك كعكة الفراولة التي تحبها، و سأقيم لك حفلة كبيرة."

ابتسم ببطء، وكأن تلك الكلمات كانت كفيلة بأن تفتح له أبواب عالمٍ جديد، عالم مليء بالألوان والفرح. تخيلته يركض على رمال البحر الذهبية، يمسك بيدي بينما نتجاوز الأمواج، وضحكاته تعلو فوق صوت البحر.

وعدته بأن أُعطيه كل ما يرغب به مثل كل مرة بل وأفضل بكثير، سأشتري له الألعاب التي يحبها، و سنجمع أصدقائه ليحتفلوا بعودته. حلمت بأن أراه في أبهى صورة، متعافيًا ومنطلقًا، نغني ونرقص، كأن المرض لم يكن له وجود.

حينما رآني أبكي، لم يتردد للحظة. رفع يده الصغيرة، وكأنه يحاول أن يمسح عني كل ألم، كل حزن. مرّر يده على وجهي بحنان، ثم لعب بأنفي كما كان يفعل دوماً ليطمئنني. في تلك اللحظة، لم تكن هناك أجهزة أو ألم؛ كان هناك فقط ابني، بقوته الصغيرة، يقف في وجهي الحزن ليخبرني أن كل شيء سيكون بخير.

فجأة، جاء الطبيب وطلبو مني مغادرة الغرفة.

وقفت متجمدة للحظة، أسأل نفسي: كيف يمكنني الابتعاد عن طفلي في مثل هذا الوقت؟ كيف يمكنني تركه، وهو بحاجة إلي؟ لكنني أعلم أنه لا بد من ذلك، وأن وجودي لن يغير شيئًا.

توجهت نحو الباب، وكل خطوة كانت كالسهم في قلبي. حاولت أن أكون قوية، لكن الدموع كانت تتسلل من عيني. كان قلبي يتمزق بين واجبي كأم وبين الحاجة الطبية لحماية طفلي.

كنت أشعر بقلبي يخفق بشدة، كأن كل نبضة تحكي قصة آمالي وتخوفي. كانوا الممرضات يدورون حولنا، يحملن الأدوات الطبية ويجهزون الغرفة لعملية القسطرة

عندما أغلقت الباب خلفي، شعرت بأن جزءًا مني قد تُرك وراءه، كنت أريد أن أكون إلى جانبه، أُشعره بوجودي، لكنني كنت أعلم أن الأطباء أكثر دراية بما يحتاجه. في تلك اللحظة، أدركت أن الحب في بعض الأحيان يعني الابتعاد، حتى لو كان ذلك مؤلمًا.

عدت إلى صالة الانتظار، والقلق يسيطر على كل جزء مني. تذكرت كل اللحظات الجميلة التي عشناها معًا، وكم كنت محظوظة بوجوده في حياتي. علمت أنني سأظل أترقب عودته وقمت أصلي وأدعو الله أن يشفيه.

تلك اللحظات التي كانت مليئة بالقلق والقلوب النابضة بمشاعر مختلطة لا تُنسى في غرفة العناية المركزة، كان الهواء مشحونًا بالجدية، بينما كنا جميعًا نتحرك بسرعة لجمع التحاليل والأدوية التي طلبها الطبيب.

كنت أركض كأن الوقت يتسابق معي، حاملةً في قلبي أملًا قويًا أن أرى ابتسامة وجهه مرةً أخرى. كانوا من حولي، عيونهم مليئة بالقلق، وعمته الدكتورة التي تابعت حالته منذ بداية مرضه، فكانت مع الطبيب في العناية .

وصلنا إلى المختبر، حيث كان كل شيءٍ يجري بسرعة. كنت أرى وجوهًا مألوفة وغيومًا من القلق تتشكل فوق رؤوسنا. كل عينة دم، كل تحليل، كان يحمل في طياته شغف الحياة ورغبتنا في محاربة أي شيء يمكن أن يؤذيه.

□

فجأة تلاشئ الأمل

في تلك اللحظة، كان الوقت يتوقف، كما لو أن الزمان قد نسي أن يسير. كنتُ جالسةً في انتظار أن تُشرق شمس الأمل في قلب العتمة قبالة غرفة العناية المليئة بالأجهزة التي تصدر أصواتًا مخيفة، ولكنها في تلك اللحظة كانت كأجراسٍ تنذر بخطر.

فجأة، انفتح باب الغرفة برفق، وخرجت عمته تحمل خبرًا كأنه رصاصةً في القلب، خطواتها الثقيلة وهيئتها لا تبشر بخير إطلاقا .

أخذت والده لتخبره بعيدًا عني ، ولكنني شعرت بذلك فتبعتهم .

وعندما نطقت بكلماتها، شعرت كأن الأرض قد اهتزت تحت قدمي.

قالت له: تنفسه الطبيعي بدأ ينخفض، وسنجري له تنفسًا اصطناعيًا ! قالتها بصوتٍ محبطٍ باكي في تلك اللحظة، بدأ كل شيء ضبابيًا. سقطت كل أحلامي في بحر من الخوف والقلق.

كيف يمكن أن يحدث هذا؟ كنت أظن أن الأمل لا يزال موجودًا، ولكن تلك الكلمات كانت كالريح التي تُطفئ شعلة الأمل التي كنت أتمسك بها كنت أُصلي وادعي في داخلي أن لا تكون هذه هي النهاية، أن لا أضطر لمواجهة واقعٍ لا أستطيع تحمله.

تلك اللحظة كانت كالكابوس الذي لا يُفارق خيالي ارتميت لأرى شيء وقلبي يدق بسرعةٍ عالية جدًا وأطرافي باردة، والقلق يتسلل إلى قلبي كالعنكبوت الذي ينسج خيوطه حول روحي. كنت أشعر أن شيئًا ما كان يتغير في الغرفة، كما لو أن الهواء أصبح ثقيلاً، وكأن كل نفسٍ كنت أستنشقه كان يحمل في طياته شعورًا بالفقد.

أتت الممرضة تخبرنا بأن ندخل العناية لنرى خيّالنا، ملاكنا الصغير، طفلنا المدلل.

وكأنها تقول لنا لقد رن جرس الوداع!

ركضت إلى سجادة الصلاة، لا أملك سوى الدعاء. دموعي تسابق كلماتي، "يا رب، لا أملك له شيئًا سوى رحمتك." كنت أبكي بحرقة والدعاء ينساب من قلبي، متشبثةً بأمل في رحمة الله، وكل ما في داخلي ينهار.

دخل والده وبدأ يصرخ بصوتٍ عالٍ، ودخلت أنا من الباب الآخر، رأيت والده منهارًا يمسكون به لا يستطيع المشي من حزنه الشديد.

نظرت إليه وأدركت أن جرس الوداع فعلاً قد رن ! كنت ماسكة لقلبي الذي أشعر أنه سيخرج من مكانه في أي لحظة!

عندما اقتربت من خيّولي قرة قلبي وعيني نظرت إلى وجهه الملائكي وهو يفارق الحياة، عيناه تنظر إلى الأعلى وأصوات الأجهزة تنخفض والأطباء كثر حوله ينظرون إليّ وعيونهم مليئةٌ بالدموع، أدركت فجأةً أنني أواجه حقيقةً مؤلمة، ملاكي الصغير سيرحل كانت هذه الفكرة كالرصاصة التي استقرت في قلبي، أطلقت شرارة من الألم لا تُحتمل.

بدون تفكير، خرجت أركض من المستشفى. لم أكن أعلم إلى أين سأذهب أو ماذا سأفعل. كانت قدماي تحملاني إلى مكانٍ بعيد، بعيد عن الجدران البيضاء والأصوات المزعجة، بعيدًا عن تلك اللحظة القاسية. كنت أركض، وكأنني أهرب من مصيرٍ مُحتوم.

أخذتني أختي إلى منزلها ، كنت كجثةٍ هامدة لم أيأس واستمريت بالصلاة والدعاء وأنا ميتة جسدياً بدأت أصلي وأدعوا وأثناء الدعوات غفوت ، رأيت خيّولي خارج من غرفة العناية وهو بصحةٍ جيدةٍ جدًا ، ومبتسم ، مرتديًا بدلة العيد التي أعجبته ورتبها بنفسه في خزانته فتحت عيناي فإذا هي رؤيا ! لم يكن واقع .

أحسست حينها أن طائري الرفراف قد طار وتركني وحيدة !

أمسكت التليفون بثقلٍ شديد، تلقيت خبر الرحيل.

توقفت الحياة للحظات، تجمد كل شيء حولي وكأن الزمان نفسه قرر التوقف لم أكن أدرك أن قلبي سيحمل نبأً يكسوه الحزن الأبدي.

شعرت وكأن العالم من حولي قد توقف. تجمدت تماماً، لم أستطع الحركة أو التفكير. لم أعد أدري أين أنا أو كيف وصلت إلى هنا. كان الصوت الذي جاءني يحمل الخبر كأنه ضباب كثيف يحجب كل شيء، فاختفى كل ما حولي.

أردت أن أصرخ، أردت أن أهرب، لكني كنت محاصرةً في جسدي الذي لم يعد يستجيب. تلك اللحظة كانت كما لو أنني عشتها خارج الزمن، بين الحياة والموت، بلا شعور

"خيّال رحل"، كلمات لم أستوعبها في البداية. كيف لقلبي أن يتقبل هذه الحقيقة؟ كيف لأذني أن تصدق أن تلك الضحكة الصافية لن تعود، إن تلك العيون البريئة أغمضت إلى الأبد؟

كل لحظة كنت أحلم فيها بمستقبله، كل لحظة كان فيها بجانبي، مرّت أمامي كالفيلم البطيء. كيف يمكن للعالم أن يستمر؟ كيف للهواء أن يبقى كما هو بعد رحيله؟

كيف أخبركم بأنني فقدت خيّولي الذي كان يجوب بساتين أحلامي، يرافقني في كل زوايا الحياة، يحملني إلى عالمٍ من الألوان الزاهية والمشاعر الصادقة؟ كيف أخبركم بأنني فقدت ذلك النجم الذي كان يضيء لي دروب الليل، ويرسم لي الابتسامة حتى في أحلك اللحظات؟

كان طفلي نبض قلبي، النور الذي يشع في أعماقي مهما اشتدت ظلمة الحياة. كل لحظة بجانبه كانت تملأني حياة، تمنحني القوة لأستمر وكأن العالم لا يستطيع أن يكسرني ما دام هو معي ، كنت أرى فيه معنى السعادة الخالصة، تلك السعادة التي لا تعرفها الحياة إلا من خلال عيون طفل بريء.

رحيله لم يأخذ سعادتي فقط، بل أخذ معه الروح التي كانت تُبقي قلبي نابضًا. أصبحت أيامي صامتة، تحمل بين طياتها ثقل الفقد وألم الغياب. كان طفلي سر استمراري، ومع رحيله، توقفت الحياة عن الدوران في داخلي.

أخذوني منزل العزاء !!! منزل جده ووالده لكي أودعه.

عندما اقتربنا من المنزل رأيت الناس مجتمعين ووالده كان كالمجنون والناس حوله.

لم أستطيع أن أخرج ، لا أريد أن أراه بذلك المنظر ، بالكفن الأبيض!

لكن إمرأةً فتحت عليّ باب السيارة ، وقالت لي طفلك في انتظارك ، في انتظار كلماتك له.

طفلك يشعر بك الآن ويقول أين أمي كيف لها لم تودعني ، بسماع هذه الكلمات خرجت أركض نحو طفلي، كيف لي أن أحزن خيّال!!!

لم يهمني شعوري وحالتي المؤلمة ، المهم خيّال قلبي أن لا يزعل!
عندما دخلت ورأيت منظره ، صحت بأعلى صوتي لكن سرعان ما تمالكت نفسي.
خيّال سيبكي إذا رآني أبكي!!
مشيت بخطواتٍ ثقيلةٍ جدًا، لم يكن الذي رأيته خيّال ، كان شكله مختلف ، حضنته وودعته الوداع الأخير، وهمست له في أذنه.
قلت له خيّولي ماما كنت تقول لي سأذهب إلى الجنة! الجنة المكان الجميل الذي لطالما أحببته.
وعند المصطفى الذي كنت تحبه ، ستذهب إلى الحديقة الكبيرة!
أنت اذهب الآن ولا تخاف أبدًا ، العب وامرح وأنا سأتبعك هناك يا حبيبي ، قبلته وخرجت من المكان دون أن أنظر خلفي.
لحظات وأخذوه ، لقد كان كل شي سريع ، كل شي وكأنه يطير !

في ليلة فقدك، أغمضت عيني من التعب، لكن الألم كان يصرخ في داخلي كأنما يحاول انتزاع كل ما تبقى من قوتي. صحت بأعلى صوتي، "خيّال!"، وكأنني أستجدي روحًا تائهةً تعود لتملأ فراغ قلبي. ارتعب الذين كانوا حولي، لم يعرفوا كيف يتعاملون مع صرخاتي، وكأنني أصدرت أمرًا للخروج من هذا الواقع المؤلم.

خرجت إلى السطح، أبحث عنك في السماء، لعلي أراك بين النجوم، لعلي أستشعر وجودك في ضوء القمر الذي كان يومًا يضيء خطواتنا معًا. نظرت إلى السماء، وقلبي مفعم بالأمل واليأس، هل يمكن أن تكون هناك؟ هل يمكن لوجهك أن يطل من بين النجوم، تنظر إلي وتبتسم كما كنت تفعل دائمًا؟

كانت السماء ملبدة بالغيوم، وكأنها تشارك حزني، كلما حاولت أن أرفع رأسي عالياً، أشعر بوزن الغياب يثقل كاهلي. كنت أُحدث النجوم وكأنها قد تحمل لي خبرًا عنك، عن كائنٍ كان يشع حياة في كل زاوية من زوايا قلبي.

صباح الفقد جاء كئيبًا، يحمل في طياته حزنًا عميقًا، شمس جديدة تتسلل عبر النافذة، لكن ضوءها لم يضيء قلبي المنكسر. أتأمل الفضاء الخالي بجانبي، حيث كانت أحلامك تجوب، والضحكات تتردد اليوم، كل شيء صامت، كما لو كان العالم يشاركني آلامي.

كنتَ نور حياتي، وبدونك، شعرت كأنني أعيش في الظلام. كل زاوية في المنزل تشهد على غيابك، والألعاب التي تركتها خلفك تهمس بأسرار الطفولة التي لن تعود. أتحسس مكانك، أتخيلك بجانبي، وأسمع صدى صوتك يتردد في أذني، لكنني أعود إلى الواقع لأجدني وحيدة.

أراقب الشمس ترتفع، وفي كل شعاع أرى صورتك تتلاشى، كما تذوب الذكريات في ضوء النهار. لماذا؟ لماذا رحلت وتركتني أواجه هذا الفجر المظلم؟ كنتُ أخاف أن أموت كي لا تبقى وحيدًا، لكن ها أنا هنا، وحيدة، وقلبٌ مثقلٌ بفقدانك.

تتراقص الذكريات في رأسي، تتلاعب بأفكاري، تتسلل إليّ كل لحظة، ولكنها تأتي مع الألم. أول شروق شمس بدونك هو كما لو أن الأرض انشقت عن قلب حزين، ويجب عليّ السير في درب طويل، مليء بالوحدة والحنين.

شعرت أنني ضائعة في عالم بلا اتجاهات

لم أعلم إلى أين أذهب، لكن قدماي قادتني إلى البحر، ذلك المكان الذي طالما كان يحبه. وقفت على الشاطئ، أراقب الموج وهو يركض إلى الساحل ثم يتلاشى، وكأنني أبحث في كل موجة عن أثره، عن ضحكته، عن عينيه الصغيرتين اللامعتين. لعلي أراه. لعلّ البحر يهمس لي بشيء من روحه الطاهرة، فأشعر بوجوده بجانبي مرة أخرى."

أتذكر ضحكته الصافية التي كانت تمتزج بصوت الأمواج. كل موجة كانت تهمس باسمه، وكل نسمة هواء كانت تحمل رائحته في ذلك المكان الذي أحبه.

أصريت للذهاب إلى المنزل

كل شيء في الداخل كان غريبًا، ثقيلًا، وكأن الحياة انسحبت منه كما انسحبت من روحي يوم غاب، فتحت الباب ببطء، وكأنني أخشى أن أزعج صمته الذي غطى كل شيء. كان المنزل فارغًا، لكنه ممتلئ بغيابه، بكل تفاصيله التي صارت ذكرى تثقب القلب.

رأيت لعبته الصغيرة ملقاة على الأرض، تمامًا كما تركها، وكأنها تنتظر أصابعه الصغيرة لتحركها من جديد. ملابسه المعلقة ما زالت تحمل رائحته، رائحة البراءة والفرح الذي كان يملأ المكان.

انهارت قدماي، وجلست على عتبة الباب أبكي. لم أستطع أن أخطو أكثر، لم أستطع أن أواجه الفراغ الذي خلفه. صرخات قلبي كانت أعلى من أي صوت في داخلي، وحينها أدركت أنني لم أفقد خيّال فقط، بل فقدت نفسي معه.

كان المنزل شاهداً صامتًا، لكنه كان يبكي معي، يحكي لي قصصه ويذكرني أنه كان يومًا مليئًا بالحياة... يومًا كان فيه خيّال.

وقفت أمام الخزانة، مترددة، كأنني أقف على حافة هاوية. سحبت نفسي نحوها، ويدي ترتجف، وكأنني أعلم أن ما خلف الأبواب لن يكون سوى ألمٍ جديد. فتحتها ببطء، فاندفعت رائحته نحوي كعناق أخير من بعيد.

رأيت ملابسه مصطفة بعناية كما تركتها، وكأنها تنتظر من يمد يده ليبعث فيها الحياة. ملابسه كانت معلقه بانتظام، لكن الحياة فيه غابت. قميصه المفضل ، لمست قماشه بحذر وكأنني أخشى أن ينكسر في يدي، وأغمضت عينيّ لأحتضن رائحته التي تغلغلت في أعماقي.

في تلك اللحظة، لم أتمالك نفسي. انهارت دموعي على القميص، كما لو أنني أحاول أن أعيده إلى الحياة بكل وجع قلبي. شعرت أنني أمام خزانة تحمل حكاياته الصغيرة، أحلامه، وضحكاته التي اختفت.

ألعابه التي كانت تتناثر هنا وهناك، وايباده الذي تركه جانبًا وجدت عيناي تتوقفان عند آخر لعبة كان يلعبها، تلك التي لم يُكملها وكأنها بقيت تنتظر لمساته الأخيرة لتكتمل وأغراضه التي كانت تملأ المكان بالحياة، كانت كما تركها، تحمل بصماته وذكرياته. كل قطعة، كل تفصيل، يحكي قصة أيام مرّت وابتسامات كانت تعلو وجهه.

وقفت هناك، متأملةً، وكأنني أستطيع أن أسمع صوته يناديني، رائحته منتشرة في الغرفة التي كنا نقضي معظم أوقاتنا فيها.

شعرت بأنني أسير في ذكرى كل لحظة، كل ضحكة، كل حلم. أغمضت عيني، ورحت أسترجع تلك الأيام، وكل ما تركه لي من شغف طفولته وبراءته، التي لا تزال تعيش في قلبي.

شعرت بحزن وفراغ قاتل ، كان صوته يتردد في أذني، ضحكته تعانق الهواء. كنت أدور في كل زوايا المنزل وكأني أبحث عنه ، وكأن روحه لا تزال موجوده تهمس لي: "أنا هنا يا أمي .

نظرت لفناء المنزل ورأيت طيفه مبتسم ومعه الكرة يريد اللعب معي، سمعت صوته وهو يناديني أمي تعالي لنلعب معًا!

أحسست وكأن الأرض قد انزاحت من تحت قدمي. ترك فراغًا لا يمكن ملؤه، وذكريات تتراقص في ذهني كأرواح ضائعة.

جمعت أغراضه برفق، كأنني أجمع قطع قلبي المكسور. شعرت بالألم في كل لمسة، وكنت أتمتم بكلمات لا يفهمها إلا الله. أغلقت عينيّ وتركتهن يتحدثن عن مغامراتنا معًا، بينما كان صدى ضحكته يتردد في أرجاء المكان.

أحتفظتُ بضحكاته تتردد بين الجدران وبصمات خطواته التي أسمعها كلما مررت بالغرفة. كنت ألتقط كل ذكرى، كل همسة، وأضعها في قلبي كما توضع الأحجار الكريمة في صندوقها الثمين.

جمعت كل ما يذكرني به في حقيبةٍ صغيرة واحتفظت بها معي

كلما ضاقت بي الدنيا فتحت حقيبتك وشممت رائحتك واحتضنتك وقبلت ثيابك وكل شي لك وأغمضت عينيّ لأراك في خيالي، كما كنتَ دائمًا: مشرقًا، بريئًا، وملونًا بالحياة

فرشاته الصغيرة، وكتبه المبعثرة، أوراقه الصغيرة التي خطت عليها يداه حروفه الأولى .

وألعابه المفضلة، وثيابه الأنيقة، و حقيبته الصغيرة ،وايباده المحبوب جزءًا من تلك البقايا أحنّ إليها كلما شعرت بأن العالم يفقد معناه، وكلما ضاق بي الحنين، جلستُ أتأملها، فأشعر وكأنني أعيش معه من جديد.

رغم الفراق، بقي طفلي معي، في كل زفرة وشهقة، في كل ذكرى تحيا بداخلي، وفي كل بقايا أحتفظ بها بعناية، حتى لا يغيب عني أبدًا.

إلى أولئك البشر، الذين يَدعون حُب خيّال

أين كنتم حينما كان صغيرًا يحتاج إليكم؟

كان يبحث عن حبكم، عن دفءٍ العائلة التي لم يجد لها مكانًا في قلوبكم. كنتم تبنون جدارًا فولاذي بينكم وبينه.

كنتم منشغلين بأنفسكم، وكأن خيّال سيدمر سكينتكم !

الحب أفعال وليس أقوال.

لا يُصدُّ ولا يُغلقُ الباب في وجه من نحب مهما حدث ، فالحب يستحق أن نترك له الأبواب مفتوحة دائمًا.

لم يعد خيّال ينتظر حبكم، ولم تعد الدنيا تمنحكم فرصة للتكفير عن خذلانكم له.

تركتموه منذ بداية الطريق وخذلتموه مراتٍ عديدة وفي مواقف كثيرة.

كنت أرى في عينيه الصغيرة تلك النظرة التي تسأل: لماذا؟ ولم أجد جواب غير أنانيتكم وكراهيتكم فقط.

في كل مرة كنت أظن أن الزمن كفيل بأن يعيد كل ما انكسر، لكنه أثبت لي أن بعض الجراح تبقى ندوبًا لا تزول، وأن بعض البشر قلوبهم كالحجر لا تذوب ولا تتغير أبدا ، وأن بعض العلاقات تنتهي عندما تدرك أن الاستمرار فيها يعني خسارتك لنفسك

لأنها علاقات سامة أشبه بغيمة سوداء تُحجب نور الشمس عن أرواحنا. نُمسك بها أحيانًا بدافع الخوف، لكن هل يمكن لروحٍ مقيدة أن تطير؟ في كل علاقة، هناك تبادل للطاقة، فإما أن تنعشك أو تُهلكك. الحياة قصيرة، لا تحتمل أثقالاً لا معنى لها.

إن العلاقات التي لا تغذي أرواحنا هي عبء يجب تركه الحرية ليست في الهروب، بل في الجرأة على اختيار ما يليق بقلبك.

في لحظاتٍ كثيرة، نشعر أن الأدوار التي نؤديها في الحياة أكبر من مجرد مهام، بل هي تجسيد لشيء أعمق.

ملأت قلب خيّال بحُبٍ لاينفذ وسقيته من ينبوع العطف حتى غرق فيه.

زرعت فيه الحب والأمان والثقة والقوة، أخبرتُه مرارًا أنني سأكون ملجؤه الذي لا ينهدم، وعصاه السحرية التي تحقق له كل ما يحب.

ملأتُ حياته بالأمل والفرح وحشوتُ أيامه بالسعادة التي لا تنتهي.

كنتُ أدرك أن الحب لا يحتاج إلى كلمات كثيرة، بل يحتاج إلى تواجد وحضوردائم هو الرغبة في أن يكون كل شيء حولك آمنًا وسعيد مهما كانت الحياة قاسية .

كان السفر وجهتي بعد أن تركت خلفي كل شيء حملت معي حقيبة ثقيلة، ليس بما تحتويه من ملابس، بل بثقل الذكريات والآلام كنت بحاجة إلى حضن أهلي، إلى دفء العائلة في وطنٍ يعرفني قبل أن أعرف نفسي، لعلني أجد في أحضانهم الراحة أو العزاء.

الطائرة حملتني بعيداً، لكنها لم تستطع حمل همومي معي. كنت أجلس بصمتٍ أنظر من النافذة وأشعر وكأنني أهرب، لكن من المستحيل الهروب من الألم الذي يكمن في القلب. تلك اللحظات كانت أشبه بعاصفةٍ صامتة تجتاح كياني.

وصلت إلى وجهتي، ولكن الغياب كان يلاحقني، غياب طفلي الموجع.

في تلك الرحلة الطويلة، وجدت نفسي محاطة بمشاعر لم أكن أتوقعها، شعور الوحده والحزن تملكني، عيني كانت تراقب كل شيء حولي لكن قلبي كان مشغولًا بشيء آخر، بشخص آخر بظل صغير كان يرافقني في كل مكان أذهب إليه، لقد أصبحت وحيدةً والوقت ثقيلٌ جدًا.

في تلك اللحظة، لم أستطع احتواء ما شعرت به، عندما دخلت منزل أهلي ورأيت غيث وكأن الوقت قد عاد بي إلى تلك الأيام السعيدة التي كنا فيها، كأنني قد رأيت خيّال بعينيه الصغيرتين وابتسامته اللامعة، وهو يركض نحو الحياة دون خوف.

حينها، انهمرت دموعي دون إرادتي، وانهارت قواي.

ركضت إليه، ضممتُه بقوة، وكأنني أبحث عن الحضن الذي فقدته، بكيت بحرقة وكأنني أحتضن خيّال مجدداً.

"عندما رحل طفلي شعرتُ أن روحي قد انكسرت، لكن إيماني بالله كان قوتي. لم يكن صبري اختيارًا، بل كان تسليمًا لحكمة الله.في لحظة تهاوت كلماتي في فوضى من الدموع!

لكنني سرعان ما تمسكت بحبل الإيمان، تحمدت واسترجعت الله في لحظة انفصال روحي عن جسدي، وانهيار قلبي .

في لحظة الكسر، عندما شعرت بأن العالم قد انهار تحت قدمي، جاء الصبر ليكون قوتي. كان قلبي مثقلاً بالحزن، وكأن الحياة أغلقت أبوابها في وجهي. لم يكن هناك شيء أصعب من تلك اللحظة التي أدركت فيها أن طفلي لن يعود، وأن هذه الفجوة التي تركها لن تملأها الأيام.

لكن في أعمق لحظات الكسر، وجدت أن الصبر ليس مجرد انتظار مرور الوقت، بل هو الثبات رغم الألم، والتمسك بالأمل وسط العتمة. كان الله معي في تلك اللحظة، يمدني بالصبر لأتحمل ما لا يحتمل، ولأقف على قدمي من جديد، حتى وإن كان الألم لا يزال ينبض في أعماقي.

الصبر في لحظة الكسر ليس ضعفاً، بل هو القوة التي تجعلنا نواصل السير رغم أن قلوبنا محطمة.

كل دمعةٍ تسقط، أُرسلها إلى السماء، مُلتمسةً من ربي العون والثبات، فهو أرحم بي من نفسي، وهو القادر على تخفيف آلامي، ومنحي السكينة.

أُدرك أن الألم الذي أحمله هو شهادة على حبٍ عميق، فقد أهداني الله طفلًا كان نورًا في حياتي، والآن يُضيء روحي من هناك، في عالمٍ لا يعلمه إلا هو.

بكيتُ ومازلت أبكي ، دعوتُ ومازلت أدعو ووضعتُ كل ألمي بين يديه فهو أرحم بي مني!

الله اختار خيّولي الروح الطاهرة لتكون مع الأبرار؟

طفلي في رحمة الله الآن، حيث لا ألم ولا خوف. قلبي رغم وجعه مطمئن! لأنني أعلم أن الله أرحم به مني، وأن الفراق ليس إلا لقاءً مؤجلًا في جنات الخلد.

عندما تتلألأ السماء بنجومها، ويظهر النجم القطبي بوضوح، يأخذني ذلك إلى عالم آخر، حيث تعود الذكريات الجميلة التي عشتها معك يتوهج ذلك النجم البعيد في ظلام الليل، مثل ضحكتك التي كانت تملأ حياتي نورًا وسعادة.

أرى فيه بريق عينيك، ورقة ملامحك، وابتسامتك البريئة التي كانت تذيب قلبي. في كل مرة أرى فيها ذلك النجم، أشعر بأنني أعيش لحظة خاصة، وكأنك يا خيّولي ترسل لي رسالة حب من بعيد.

يتراقص النجم في سماء الليل، ويخبرني بأن الحياة مستمرة رغم الفراق. يشعرني بأنني لست وحدي في حزني، بل أن هناك نورًا يراقبني ويعانقني من بعيد. أتذكر لحظات اللعب، وضحكاته التي كانت تُبهج قلبي، وأتساءل: هل يراني من هناك؟

أغمض عيني، وأتخيل أنني أُحضِر نجمي الصغير إلى هنا، ليكون بجانبي مرة أخرى. أعود للواقع، وأجد أن النجم القطبي لا يزال يتألق، مثل حب طفلي الذي لن يموت أبدًا.

عندما أراه، أستعيد الأمل، وأتذكر أن ذكرياته ستظل معي إلى الأبد، تشبه نجمةً تُضيء ليلي، وتذكرني بأن الحب لا يموت، بل يتحول إلى نور يرافقنا في كل خطوة نخطوها في هذه الحياة.

أنت أيها النجم القطبي هل تشبه طفلي ؟

أنت، أيها النجم، تضيء ليلي المظلم، كما كان يضيء وجه طفلي حياتي كنت دائماً أنظر إلى السماء وأتساءل: هل يشعر بي كما أشعر به؟ هل يرى كل تلك الألوان الجميلة التي كنت أراها في عينيه؟ هل يشعر بحبي له حتى وهو بعيد؟

إنه يشعر بي، عندما يشتد بي الشوق إليه يأتيني في الرؤيا وكأن الله يرسله إليّ لأحضنه وأقبله ثم يذهب !

تحطمني ذكريات برنامج السناب حينما تومض أمامي رسالة: "هل تتذكرين؟". وكأنها نافذة مفتوحة إلى ماضٍ يرفض الرحيل، إلى لحظات تسكن روحي وتأبى أن تذبل.

أشعر أن الزمن يعيد نفسه، فيعيد إليّ صورًا ومقاطع قصيرة كنت أشاركها معه ضحكاته، صوته وهو يناديني، وحتى تلك اللحظات العفوية التي كانت تبدو بسيطة، أصبحت الآن أثقل من أن يحتملها قلبي.

كلما أرسل لي البرنامج تلك الرسالة، كأنها سؤال موجه لقلبي مباشرة: "هل تتذكرين؟". نعم، أتذكر كل لحظة في كل مقطع وصورة وكيف لي أن أنسى ذلك ؟

كنت أحب أن أكتب مقالات ، خواطر، نصوص تعكس جمال الحياة، تلك التفاصيل الصغيرة التي تمنحنا الفرح والحب. وكنت أحلم في أن أكتب روايات، كنت أرى في الكتابة سبيلاً لخلق عوالم مليئة بالأمل والأحلام. لكن ما لم أتوقعه هو أن يكون أول كتاب لي عن رحيل طفلي!

لم تكن تلك القصة التي تخيلتها، ولا الكلمات التي تمنيت أن أكتبها. كنت أحلم بأن أروي حكايته وهو يكبر أمام عيني، ولكن وجدت نفسي أروي قصته وهو يرحل بعيداً عني.

كيف يمكن للكلمات أن تترجم ألم الفقد؟ كيف لقلب أمٍ أن يكتب عن فقدان أغلى ما لديها؟

كان كتابي الأول، وكان أيضاً أصعب وأقسى ما كتبت.

طفلي خيّولي ، كيف أصف شعوري دونك؟ كل لحظة تمرّ تذكرني بك، وتعيد لي ذكرياتك التي كانت مليئة بالفرح. كنتَ نجمًا في سمائي، والضحكة التي تملأ أركان قلبي. والآن، أصبح قلبي فراغًا باردًا، وكأن الحياة توقفت بعد رحيلك.

أشتاق إلى صوتك، إلى ضحكتك التي كانت تسكن قلبي. أفتش عنك في كل زاوية، ولكنك لا تزال غائبًا عن نظري، حاضراً في قلبي.

كيف يمكن لقلبي أن يتحمل هذا الألم؟ كيف يمكنني أن أستمر دون ضوء عيني؟ كل لحظة أعيشها هي لحظة من الشوق والحنين، كأنني أمشي في طريق مسدود.

لقد تركت فراغًا لا يمكن ملؤه، وذكريات تُخنقني بالدموع. أحيانًا، أظن أنني أسمع صوتك يناديني، لكنني أستيقظ على حقيقة مؤلمة أنني لن أراك مجددًا، أريد أن أحتضنك أن أشعر بدفء جسدك.

سأظل أذكرك، رغم الألم، وسأكتب لك، لأحتفظ بذكراك في قلبي إلى الأبد. ياكل روحي، لن أنساك أبدًا.

عندما يشتدّ بي الحنين إليه، أرش على ثيابي من زجاجة عطره التي احتفظت بها ، كلما لامست أناملي زجاجته، أشعر كأني أستحضر خياله أمامي أرفع الغطاء، استنشق بعمق، فتغمرني رائحته.

أضع بضع القطرات على معصمي وصدري

ثم تتسرب إلى قلبي ، وأغمض عينيّ. في تلك اللحظة، أشعر كأنني أقف بقربه، أستمع إلى ضحكاته، وأرى بريق عينيه.ثم أعانقه عناق روحي، رائحته تلك، كأنها خيط من نور يصلني به، يعيد إليّ ذكرياته، ويمنحني شعورًا بأنّه أمامي

وعندما أشاهد القناة المفضلة التي كان يتابعها بشغف، وأرى "توم وجيري" كرتونه المفضل يتسلل إليّ شعور بأن الزمن توقف للحظات أسمع ضحكاته الصغيرة في أصداء المكان، وكأن الحاضر يمزج بين طيفه والصور المتحركة.

ثم تأتي الأغاني التي كان يحبها، ويرقص بضحك وكوميديا عليها ، تلك الأنغام التي كانت تملأ بيتنا بالفرح ، عندما أسمعها اليوم يصرخ قلبي باكيً وأتذكر تلك اللحظات .

أما طعامه المفضل، فحينما أرى أحدهم يتناوله يرتعش قلبي بشوق، أكاد ألمس بيدي تلك الأطباق التي كان ينتظرها بحماس.

وأكثر ما يكسرني، هو عندما أسمع كلماته من أطفال آخرين، صوتهم يذكرني بصوته وعباراتهم تحمل لحن كلامه البريء أجد نفسي أبتسم بحزن، وكأن تلك الكلمات ما زالت تعيش في الأرجاء، ترفض أن تغادر.

عندما أتناول طعامي، أشعر به يجلس بجانبي أنظر لمكانه وأشعر بيده الصغيرة تمتد نحو طبقي، فنتناول الطعام سوياً وأطعمه بيدي كالعادة وأضحك معه .

وعندما يأتي وقت النوم كل ليلة أحتضن قميصه ، وأتخيله بجانبي وأشعر بذلك فيطمئن قلبي وأنام .

ذات يوم لعبت بالبالونات الملونة وأحسست أنني ألعب مع خيّال وأن طيفه يركض ويلعب معي، يريد أن يمسك بالبالونات وأنا أرفعها عالياً في الهواء وهو كالعادة يضحك بصوته الذي لا تزال تسمعه أذني أدركت بعد لحظات أنني ألعب مع أولاد أخي وليس طفلي!!

بينما كنت أكتب ألتفت خلفي، لأرى غيث مستلقٍ بسلامٍ على الأريكة، عاد بي الزمن فجأة وتخيلت خيّال، بنفس الوضعية تمامًا، نائمًا بهدوء، كما لو أن العالم كله قد توقف ليستسلم إلى هذا الهدوء. كان الليل قد غطى المكان.

وأنا جالسةٌ بجانبه أراقب وجهه الصغير، أنظر إليه بنظراتٍ مليئة بالحب والطمأنينة. يديه الصغيرتين مطويتين تحت رأسه، أنفاسه الرقيقة تتناغم مع صوت الرياح الخافتة.

تذكرت كيف كنت دائمًا أنتظر هذه اللحظات لأكمل يومي بصمتٍ خفيف، كأني أجد في نومه راحةً لعالمي. كل شيء كان يبدو مثاليًا في تلك اللحظات، حتى أنفاسه كانت تحمل لي نوعًا من الأمان.

في كل ليلة، حين يسدل الليل ستائره، يعتريني إحساسٌ غريبٌ بالفقد، كأن العالم كله يختفي، ويبقى حضوره غائبًا، حاضرًا في قلبي فقط. أشعر بثقل المكان من دونه، بالصمت الذي صار رفيقي الوحيد.

أحيانًا، أتساءل كيف يمكن لذكرى أن تكون بهذا القدر من الحياة؟ كيف للمسة يده الصغيرة ما زالت تسكن كفي، وكيف صوته يتردد في أذنيّ رغم أن كل شيء سكن من حولي؟

أشتاقه في كل تفاصيل اليوم... في اللحظات التي كان يملؤها بضحكاته، وحتى في الفراغات التي كانت تكفيه ليشعرني بالاكتمال. فقده لم يكن مجرد غياب، كان انفصالًا عن جزء مني، وكأن قلبي نفسه رحل معه.

كنت في قاع الألم، منهكة، وحيدة في عتمةٍ لا نهاية لها، في قمة الحزن والاكتئاب ، اعتزلت أهلي وأقفلت على نفسي ،وشعرت أنني لم أعد أملك القوة للمضي، أنني انتهيت. لكن في تلك الليلة، فجأة حدثني أحد الأحباب أنه رأى رؤيا، عندما قصها لي كأنها شمس أشرقت على روحي المظلمة.

رأى هذه الرؤيا وهو في المدينةِ المنورةِ بعد ما غادر المسجد النبوي وصلى صلاة الفجر، لقد كان فتى صالح وصادق جدًا، في حديث شريف لنبي محمد ﷺ قال : «أصدقكم حديثاً أصدقكم رؤيا»

قال لي : رأيت خيّال يخرج من بين ظلال جبل أُحد. كان وجهه مشرقًا، نقيًا كالنور. تقدم نحوي بثبات، وكأن الجبل نفسه انفتح ليطلقه إليّ. نظرإليّ بعينيه اللتين طالما أحببتهما، وقال بهدوء: "أخبِروا أمي... تدعني أرتاح."

أدركت في تلك اللحظة أنني كنت أسجنه في ألم الفقد، وأن روحه بحاجة أن تراني مرتاحة وأنني بحاجة أنا للسلام الذي رآه لي. لقد أحس بألمي وحزني وبعث لي رسالة!

يقول لي دعيني أرتاح يا أمي لا راحة لي وأنتي حزينة!

هذه الرؤيا هي التي جعلتني أخرج من أعماق الحزن والاكتئاب.

كانت كلماته لي كريحٍ باردةٍ تهب على قلبٍ محترق. شعرت بنبضٍ جديد يعود إلى داخلي، وكأن الرؤيا حملت معها طمأنينة لم أكن أعرفها.

"أنا الأم التي حملت ظِلًّا صغيرًا في حضنها، غاب عن ناظري لكنه بقي نابضًا في قلبي.

في الفقد تعلمت معنى الحب الذي لا ينطفئ، وحملت في صمتي قوةً تنبض بذكراه.

هو ليس بعيدًا، بل هو حاضرٌ في كل لحظة صمت، وكل نبضة حنين، ظلٌّ لا يفارقني."

أنا أعيش لتمر الأيام فقط!

أجلس على عتبات الأيام، لا أنتظر شيئًا ولا أسعى لشيء. كل صباح يمر عليّ كنسخة مكررة من الذي قبله، ليس فيه جديد سوى الخواء الذي يزداد عمقًا.

أصبحت أعيش فقط لأراقب عقارب الساعة وهي تسير، وكأنها تسخر مني، تذكرني أنني هنا، في مكان لا أنتمي إليه.

أريد الرحيل.

ليس رحيل الجسد فقط، بل رحيل الروح، لأبحث عن ذاك المكان الذي يسكن فيه خيّال، هو الوحيد الذي أفكر فيه حين أغمض عيني، ذلك المكان الذي يمحو عني ثقل الأيام ويجعلني أشعر بسلام حقيقي.

رحلتي ليست نحو عالمٍ مجهول، بل نحو عالم أعرفه جيدًا، هو في داخلي، لكنني لم أجد السبيل إليه بعد.

يقول لي البعض

لماذا تنشرين صور طفلك على مواقع التواصل الاجتماعي؟

أجيبهم: لأنني أراه في كل زاوية من زوايا حياتي، وأريد للعالم أن يراه أيضًا كما أراه أنا، صورته ليست مجرد صورة، بل هي نافذة لعالم كان يعجّ بحياته، بضحكاته، بصوته.

لماذا تتكلمين عنه دائمًا؟

أجيبهم: لأنه لم يفارقني يومًا، ليس بكلماتي أحيا ذكراه، بل بكلماته التي كانت تملؤني طمأنينة. حين أتكلم عنه، أراه حيًا بيننا، ينبض في كل أحرفي.

لماذا كل هذا الحزن !

أجيبهم: لأن الدموع في حضرة الحب هي لغة أخرى. أبكي ليس لأنه رحل فقط بل لأن روحه تملؤني بعذوبةٍ لا تتحملها الروح إلا بالبكاء.

أنتم تقولون إني بذلك أحرّقه !!!!!!!

ولكن...

أجيبكم: قلبي الذي يحترق شوقًا إليه، وهو في جنان الله ينعم بسلام والارتياح والسعادة فقط .

طفل الجنة وأنا واثقة أنه في نعيم أبدي ..

يوم الجميس / الرابع عشر / من نوفمبر ٢٠٢٤م

في هذا اليوم شعرت بفراغٍ كبيرٍ جدًاا ووجع في قلبي يمزقني ويأخذني إلى لحظة لم أكن أتخيلها يومًا يوم ميلادك الأول بعد رحيلك يا صغيري كيف يمكن لجرس الفرح الذي كان يرن في قلبي أن يتحول إلى صوت يُثقل الروح؟

في مثل هذا اليوم كنت أُشعل لك الشمعة، وأرى وجهك الصغير يضيء بابتسامتك البريئة وأنت تسمع تهاني عامًا جديدًا لكنك اليوم لست هنا لم تعد بين ذراعي، ولا بين جدران هذا الحياة التي لم تعد كما كانت منذ غيابك.

اليوم حملتُ ذكرياتك بين يديّ، واحتضنتُ صورتك، وشعرتُ بالفراغ يلتف حولي، لكن قلبي ظل ممتلئًا بك، بحبك، بضحكتك التي ما زالت ترن في أذني.

غيابك لم يُطفئ شموعك، بل أشعلها في داخلي نورًا لا ينطفئ. أحتفل بك اليوم في عالمي الصغير، في صلاتي، في دعائي، وفي كل نبضة قلبٍ ما زالت تردد اسمك.

حاولت جاهدة أن أتناسى، أن أمضي في هذه الحياة كما يريدها الله لي، لكن كلما طاف بخاطري طيفه، بكى قلبي بمرارة الفقد.

كيف لذكراه أن تمر دون أن تزلزل كياني؟ تتجمد أطرافي كأن الزمن توقف، والحياة من حولي تُغلف بالصمت.

أُحاول استنشاق الهواء، لكن كل نسمة تمر بي تذكرني به، بصوته، بضحكته. توقفت الحياة في تلك اللحظة التي فقدته فيها، وكلما عاد لقلبي، تعود تلك اللحظة معي، وكأنها ترفض أن ترحل.

لقد كبرت يا خيّال من بعدك، نظري نقص من كثرة البحث عنك في كل زوايا الحياة، وفي عيون المارين، كأنني أترقب عودتك مع كل لحظة تمر.

وجهي شحب، ليس فقط من الحزن، بل من الأمل الذي يتلاشى ببطء، أصبحت أرى في المرآة شخصًا آخر، شخصًا أثقلته الذكريات وأرهقته الليالي الطويلة التي غبت فيها.

كبرتُ، لكنني بقيتُ هناك، في اللحظة التي ودعتك فيها، ولم أستطع أن أتجاوزها.

□

أنا وطفلي روح واحدة تسكن جسدين!

كأن بيننا لغة لا تُكتب ولا تُنطق، لغة الأرواح. أفهمه في صمته كما كان يفهمني في ابتسامته الصغيرة ونظراته الحنونة.

هو هناك، في مكان بعيدٍ عن عينيّ وقريبٍ جدًا من قلبي، يريدني ألا أحزن الحزن الذي ينهش الروح، يريدني أن أظل قوية كما علمني وجوده في حياتي.

أعرف ذلك، لأنني حين أغمض عينيّ وأتذكره، أشعر بنسمة خفيفة، وكأنها رسالة منه تقول: "لا تحزني يا أمي". لكنني متأكدة أنه يعرف جيدًا، أنني مهما حاولت، سأظل أذكره كل يوم، وكل لحظة. فكيف أنسى من كان جزءًا من روحي؟

أقف كل يومٍ أمام النافذة وأنظر إلى السماء وعيناي مليئة بالدموع

كم أفتقدك يا خيّال! كلما نظرت إلى السماء شعرت أنك هناك، هل يمكنك أن تسمعني؟ هل أنت قريب من السماء كما كنت قريبًا مني؟
أنا هنا، يا أمي، في كل مكان حولك.

في السماء التي تنظرين إليها، في الرياح التي تلامس وجنتيك، في قلبك الذي لم يتوقف عن حبّي. لا تظني أبدًا أنني بعيد."

لكنني أشعر بالفراغ... أنتَ كنتَ كل شيء في حياتي.

كيف أعيش وأنا أفتقدك؟ كيف أواجه العالم من دونك؟

لا أريدكِ أن تشعري بالوحدة، أمي. أنتِ قوية، كما كنتِ دومًا، وأنا دائمًا هنا، في قلبك. لا تنسي أنني أحبك، وسوف أبقى في سمائك إلى الأبد.

أمي أنتي من كنت تعلّميني أن الحب لا يموت؟

علّمتك ذلك، لكني لم أعرف كم هو صعب أن أعيشه.

أمي الحب ليس صعبًا، هو فقط أكبر مما نتخيل، لا تبكي على السماء، فهي لا تحملني.

أنا هنا، معكِ، في قلبكِ، في كل كلمة تنطقينها، في كل لحظة تشعرين بها.

(بابتسامة متفائلة): "سأظل أبحث عنك في السماء، لأن قلبي يعشق فكرة أنك هناك... تنتظرني.

سأنتظرك دائمًا لكن لا تتوقفي عن الحياة "أمي" عيشي كل لحظة، لأني أراكِ من هنا، وأبتسم."

أغلق عيني ، وأشعر بنسمة هواء تداعبني وكأنها لمسة صغيرة من عالمه البعيد.

هكذا كل يوم ...

إلى كل أمهات العالم، إلى الأم التي فقدت طفلها

ليكن لدينا أملٌ كبير بأننا سنلقاهم يوماً ما فلنسعى إلى ذلك، ونبذل جهدنا للوصول إليهم لنجعل حبهم هو زادُ طريقنا، فهو من يمنحنا القوة والصفاء ويملأ قلوبنا بالصبر حتى نلتقي بهم في يومٍ يشرق فيه الفرح على أرواحنا.

ونعانقهم في جنّة لا فراق فيها، لنعلم أن كل لحظة نبكي فيها، وكل دعاء نرفعه، وكل ذكرى نحتفظ بها، هي خطواتٌ نخطوها باتجاههم.

دعونا نعيش بكل ما فينا من حب، ونعمل بقلوبٍ مليئةٍ بالإيمان بأن لقاءنا بهم ليس ببعيد وأنه سيكون أجمل من كل ما تصورنا.

عندما جربت مرارة الفقد كنت أتساءل :

كيف تستيقظ أمٌ وقد اختفى صوت ضحكات أطفالها؟ كيف يُشرق صباحها دون أن تمتد أيادٍ صغيرة تُحييها؟ في غزة، هناك أمٌ فقدت كل شيء حين فقدت أطفالها.

يا الله، كيف يعيش قلب أمٍ تمزق وهو ينبض؟ كيف تستمر في السيرِ وهي تحمل على كتفيها ذاكرة ثقيلة؟ أعلم أن أطفالها لم يذهبوا بعيدًا، هم في قلبها، في دعواتها، في كل دمعةٍ تسقط من عينيها بصمتٍ لا يسمعه أحد ولكنه شعور موجعٌ جدًا وأنا أشعر بذلك .

تلك الأم التي كانت تقبّل جبين صغيرها قبل نومه، تُطفئ نور الغرفة، وتُشعل شمعة في قلبها تدعو له بالحياة. وفي لحظةٍ، تأتي الحرب وتاخذه وهو نائم وتأخذ كل شيء

قلبها لم يعُد ينبض إلا وجعًا؟ تستيقظ على بقايا أحلامهم، ألعابهم الصغيرة، أحذيتهم التي لن تسير على أرض هذا العالم مرةً أخرى؟

هكذا هي ألام في غزة، جرحها لا يُشفى، لكنه يُصبح أغنية للصمود في وجه الظلم.

إلى أمهات غزة

من قلب أم خيّال التي ذاقت مرارة الفقد، أقول لكم: أعلم كيف يُكسر قلب أم حين يرحل طفلها.

أعلم كيف يصبح العالم رمادًا بلا لون، وكيف يثقل الحزن الروح.

لكن أطفالكم لم يرحلوا حقًا، أرواحهم الطاهرة تحلق فوقكم، تدعو لكم بالصبر والقوة، هم الآن في سلامٍ لا تعرفه هذه الأرض.

اصبرو، ولا تدعو الحزن يخطف ما تبقى منكم، غزة تحتاج لكم الآن أكثر من أي وقت مضى.

أطفالكم وطفلي الآن في الجنة، حيث لا ألم ولا حزن، فقط السلام الأبدي الذي يستحقونه.

النهاية

"هذه كانت مجرد لحظات بسيطة من حياة ابني الحبيب. هناك الكثير مما لم يسعفني ذِكره، لا لأنني نسيته، بل لأن قلبي لم يحتمل استعادة كل تلك التفاصيل. كنت أكتب وأستعيد كل لحظة، وكلما جرفتني الذكريات، غلبني البكاء ولم أستطع المواصلة.

فكيف أحتوي كل هذا الحب والحزن على الأوراق، والحقيقة أن وجوده كان أكبر من كل تلك الكلمات؟ سيظل في قلبي وفي كل زاوية من حياتي، نورًا لا يغيب.

لم أعد أستطيع التفكير في القصة كشيء يمكن أن ينتهي. فهو جزء من روحي، ومن ذا الذي يستطيع أن يفصل الروح عن الجسد؟ سأظل أكتب عنه، حتى وإن كتبت النهاية الموجعة سيظل حيًا في ذاكرتي، وسيظل يشكل جزءًا من حياتي حتى آخر أنفاسي.

خيّالي لن تكون هناك نهاية لنا، لأن قصتنا مستمرة ..

"إلى كل أمٍّ، لا تدعي اللحظات تمرّ كأنها غبار الزمن. توقفي عند كل نظرة، كل كلمة، كل حركة صغيرة قد تبدو عادية لكنها في حقيقة الأمر هي نبض حياتهم. طفلك ليس مجرد صفحة في يومياتك، بل هو الكتاب كله.

التفاصيل الصغيرة التي تغفلين عنها اليوم ستكون غداً الذكريات التي تتمنين لو استطعتِ أن تعيشيها مرة أخرى. لمسة يده الصغيرة، سؤاله البريء، ضحكته التي تأتي بلا سبب، تلك التفاصيل هي الحياة ذاتها. اجعلي كل لحظة معهم درسًا في الحب، وكوني شاهدة على نمو أرواحهم، لأن الزمن يمضي أسرع مما نعتقد، والأطفال يكبرون قبل أن نُدرك، وما يبقى هو ما نُعطيه من اهتمام ووقت في كل تفصيل صغير. لا تتركي يومًا يمر دون أن تكوني فيه حاضرة بالكامل."

تذكري أن الوقت هو أغلى ما تملكين، وأن حضورك في حياة أطفالك لا يقاس بالزمن بل بالحب الذي تزرعينه في أرواحهم.

لا تنشغلي بما سيأتي وتفقدي ما لديكِ الآن، فكل لحظة معهم هي ذكرى تصنعينها، وكل ضحكة هي حياة تضيفينها لأيامهم.

كوني حاضرة، لا كاملة، كوني مأوىً لا إمرآة.

فأطفالك لا يبحثون عن الكمال، بل عن دفء قلبك وسكون روحك.

وحين ترحل الأيام، ستبقى محبتك لهم جسرًا يصل بين الماضي والحاضر، وأثرًا لا يزول مهما تغيرت الحياة."

ختامًا

آمل أن تجدوا في صفحات هذا الكتاب بعض العزاء، والإلهام، وارتباطًا بأفكاركم ومشاعركم. إن كل إنسان يحمل في قلبه قصة، وقصتي كانت حول حبي الكبير لفقدان لا يمكن تعويضه.

دعونا نتذكر أن الحب لا يموت، بل يبقى حيًا في ذاكرتنا وفي التفاصيل الصغيرة التي نتقاسمها مع من نحب.

إلى قراء (ظل صغير)

"أتمنى أن يكون هذا الكتاب قد نثر بين صفحاتِه بصماتٍ من الأمل والحب إليكم ، ليذكركم بأهمية الحضور في حياة من نحب، وبأن الذكريات التي نبنيها معهم هي الكنز الحقيقي الذي يبقى معنا إلى الأبد."

مع كل الحب

ودمتم بخير

المؤلف

الجليلة ناصر

أم خيّال ♡♡